

IX

9Marks

سلسلة بناء الكنائس الصحيحة

شيوخ الكنيسة

كيف
ترعى
شعب الله
مثل يسوع

جيرمي رين

٩ علامات: بناء الكنائس الصحيحة

شيوخ الكنيسة



بقلم

جيرمي رين

شيوخ الكنيسة

٩ علامات: بناء الكنائس الصحيحة

المحرّر: مارك ديفير وجوناثان ليمان

- الوعظ التفسيري: كيف نتكلم بكلمة الله اليوم؟ للمؤلف: ديفيد هيلم.
- العقيدة الصحيحة: كيف تنمو الكنيسة في محبة الله وقداسته؟ للمؤلف: بوبي جاميسون.
- الإنجيل: كيف تصور الكنيسة جمال المسيح؟ للمؤلف: راي أورتلند.
- الكرازة: كيف تتكلم الكنيسة كلها عن يسوع؟ للمؤلف: جي. ماك. ستايلز.
- العضوية الكنسية: كيف يَعْرِفُ العالمُ مَنْ يُمَثِّلُونَ يسوع؟ للمؤلف: جوناثان ليمان.
- التأديب الكنسي: كيف تحمي الكنيسة اسم يسوع؟ للمؤلف: جوناثان ليمان.
- شيوخ الكنيسة: كيف ترعى شعب الله مثل يسوع؟ بقلم: جيرمي رين.

Originally published in English under the title

Church Elders

by Crossway

ISBN 978-1-4335-4087-5

Copyright© 2014 by Jeramie Rinne

All rights reserved

اسم الكتاب : شيوخ الكنيسة

المؤلف : جيرمي رين

ترجمة ونشر : خدمة الحق يحرككم

فريق الترجمة والتحرير: سامح عزمي - يوسف شكري - اليزابيث

فايز - جرجس صبحي

المطبعة : سان مارك - ت: ٢٣٣٧٤١٢٨

رقم الإيداع :

التقييم الدولي :

للتواصل وطلب المزيد من الكتب يمكنك مراسلتنا على:

TSF.Ministry@gmail.com

جميع حقوق الطبع في النسخة العربية محفوظة، لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب، أو أي جزء منه، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقلها، أو استنساخه بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي مسبق من الناشر.



خدمة الحق يحرركم
«وَتَعْرِفُونَ الْحَقَّ، وَالْحَقُّ يُحَرِّرُكُمْ» (يوحنا ٨: ٣٢).

خدمة الحق يحرركم هي خدمة غير ربحية، تهدف لتدعيم المؤمنين كأفراد والكنيسة كجماعة بمحتوى روحي وتعليمي كتابي من أجل مجد الله وامتداد ملكوته.
نصلي أن تكون خدمتنا سبب بركة لك عزيزنا القارئ في مسيرة إيمانك.

يمكنك متابعتنا على Facebook: **خدمة الحق يحرركم**

<https://www.facebook.com/TSFministry2016/>

للتواصل وطلب المزيد من الكتب يمكنك مراسلتنا على:

TSF.Ministry@gmail.com

المحتويات

١٣	تَقْدِيمُ السِّلْسِلَةِ
١٥	مقدمة: «أنا شيخ.. ماذا بعد؟»
٢١	١. الفصل الأول: لا تَفْتَرِضْ
٤١	٢. الفصل الثاني: تَفُوحُ مِنْهُمْ رَائِحَةُ الْغَنَمِ
٦١	٣. الفصل الثالث: اُخْدُمِ الْكَلِمَةَ
٧٧	٤. الفصل الرابع: ابْحَثْ عَنِ الضَّالِّينَ
٩٣	٥. الفصل الخامس: قَدْ دُونَ تَسَلُّطَ
١١١	٦. الفصل السادس: ارْعَوْا مَعًا
١٢٧	٧. الفصل السابع: كُنْ قَدْوَةً فِي النُّضْجِ
١٤١	٨. الفصل الثامن: تَضَرَّعْ إِلَى اللَّهِ مِنْ أَجْلِ الرِّعْيَةِ
١٥٧	الخاتمة: ثَقُلِ الرِّعَايَةَ الْأَبَدِيَّ

«القيادة كغيرها من مواهب الروح الأخرى- تعمل على بناء جسد المسيح. أوضح بولس إلى تيطس أن ترتيب الكنيسة لن يتحقق إلا بتعيين القادة المناسبين. ويرجع سبب معظم المشكلات التي لم تحل في حياة الكنيسة إلى خلل في القيادة. في هذا الكتاب، يكشف جيرمي رين ما يقوله الكتاب المقدس حول موضوع هُوية شيوخ الكنيسة المحلية ونشاطهم بطريقة جديدة وبوضوح على نحو مفيد وذي تأثير عميق. هذا كتاب يمكن للشيوخ أن يقرأوه معاً لأجل منفعتهم، كما سيساعد الرعية أن تصلي من أجل قادتها وتدعمهم حتى يصبح عملهم بهجة لا عبء».

أليستر بيج (Alistair Begg)، راعي كنيسة باركسايد،
في كليفلاند بولاية أوهايو.

”ثبت جيرمي رين إمكانية الكتابة بطريقة شاملة وموجزة في الوقت نفسه عن منصب شيوخ الكنيسة وخدمتهم. ويا له من كتاب قيم! أرى أنه كتاب ليس تعليمياً فقط وإنما تعبدي أيضاً، ومفيد لي كراع في محبتي ليسوع ولكنيسته. يصعب عليّ التفكير في كتاب آخر يتناول هذا الموضوع ويمكن مشاركته بسهولة مع الآخرين“.

جاريد سي. ويلسون (Jared C. Wilson)، راعي بكنيسة
ميدلتاون سبرنجز كوميونيتي، في ميدلتاون سبرنجز،
ولاية فيرمونت، ومؤلف كتابي “Gospel Wakefulness”
and “The Pastor’s Justification”

«هل تتوق إلى رؤية مجموعة من الرجال الناضجين والأتقياء ينمون باستمرار في كنيستك، ويساعدون راعي الكنيسة المتفرّغ ويتعاونون في رعاية شعب الكنيسة وتعليمهم وتدريبهم من أجل صناعة تلاميذ؟ يتناول هذا الكتاب الصغير الذي كُتِبَ بدقة كتابية، وبحكمة، وبدون حدة، طبيعة الزمالة المشتركة بين الزملاء في الخدمة والقيادة بالكنيسة. وبغض النظر عن وجهة نظرك حول كيفية تعيين «الشيوخ»، أو تنظيم عملهم أو تسميتهم، ستجد في هذا الكتاب الكثير من التحدي، والتشجيع، والإرشاد».

توني بين (Tony Payne)، مدير النشر في مؤسسة متياس

ميديا؛ وشريك في تأليف كتاب "The Trellis and Vine"

تقديم السلسلة

هل تؤمنُ بأنها مسؤوليتك أن تساعد في بناء كنيسةٍ صحيحة؟ إذا كنت مسيحيًا مؤمنًا، فنحن نؤمن بأنها مسؤوليتك بالفعل.

يوصيك يسوعُ بأن تتلمذ آخرين (متى ٢٨: ١٨-٢٠). وينصحك يهوذا بأن تبني نفسك في الإيمان (يهوذا ٢٠، ٢١). كما يدعوك بطرسُ أن تستخدم مواهبك لخدمة آخرين (١ بطرس ٤: ١٠). ويوصيك بولسُ بأن تتكلم بالحق في المحبة حتى تصير كنيسةً ناضجةً (أفسس ٤: ١٣، ١٥). هل ترى إذن من أين جاءنا هذا الاعتقاد؟

سواء كنت عضوًا بالكنيسة أو قائدًا، تهدف سلسلة كُتب بناء كنيسة صحيحة إلى مساعدتك على تحقيق مثل هذه الوصايا الكتابية، ومن ثم أن تؤدي دورك في بناء كنيسة صحيحة. وبعبارة أخرى، نرجو أن تساعدك هذه الكتب على النمو في محبتك لكنيسةً مثلما يحبها يسوع.

تُخطط هيئة تسع علامات “9marks” لإصدار كتاب موجز، وسهل القراءة حول كل علامة من علامات الكنيسة الصحيحة التي أشار إليها مارك ديفير، علاوة على علامة إضافية ألا وهي العقيدة الصحيحة. ترَقَّب أن تصدر قريبًا كُتب عن الوعظ التفسيري، واللاهوت الكتابي،

والإنجيل، والاهتداء، والكراسة، وعضوية الكنيسة، والتأديب الكنسي، والتلمذة والنمو، وقيادة الكنيسة.

وُجِدَت الكَنَائِسُ المَحَلِّيَّةُ لتُظَهَرَ مَجْدَ اللَّهِ لِلأُمَّمِ. وَنَفَعُ ذَلِكَ عِنْدَمَا نُنْثَبُتُ أَعْيُنَنَا عَلَى إِنْجِيلِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ، وَنَضَعُ ثِقَتَنَا فِيهِ لِلخَلَاصِ، ثُمَّ نَحِبُّ بَعْضُنَا بَعْضًا بِقِدَاسَةِ اللَّهِ نَفْسَهُ، وَوَحِدَتِهِ، وَمَحَبَّتِهِ. نُصَلِّي أَنْ يَسَاعِدَكَ هَذَا الْكِتَابُ الَّذِي تُمَسِّكُ بِهِ الْآنَ فِي ذَلِكَ.

مع خالص تمنياتي،

مارك ديفير وجوناثان ليمان

مقدمة

«أنا شيخ . . ماذا بعد؟»

بإمكان العديد من رعاة الكنائس أن يكتبوا كتابًا بعنوان "ما لم يخبروني به في كلية اللاهوت عن الخدمة الرعوية". ربما سيحتوي ذلك الكتاب على بعض الفصول المؤلمة، والمعقدة، مثل: "كيف تنجو من اجتماع عمل مُزعج وغير مرغوب فيه" أو "ماذا تقول عندما تعظ في جنازة طفل في الثالثة من عمره". تتضمن الخدمة الرعوية أشكالًا من الألم، والإحباط، وانكسار القلب، وغير ذلك من الأمور التي لا يمكن أن تُعلمها لك أية كلية.

غير أن الخدمة تتضمن أيضًا بعض المفاجآت السارة. فلم يخبرني أحد في كلية اللاهوت بأني سأقع في حب شعب كنيسة أو أنني سأحظى بمقعد في الصف الأول لأشاهد أمانة الله وقوة الإنجيل وهما يعملان في حياة الناس.

لم يُخبرني أحد عن الفرح والرضا اللذين سأشعر بهما نتيجة عملي مع الشيوخ العلمانيين في كنيسة.

أحب الشيوخ العلمانيين.^١ إني لمدين بالفضل لرجال، رغم ازدحام جدول أعمالهم، وانشغالهم بواجباتهم العائلية، يُضْحُون بالوقت والمال، في دموع وصلوات، ليقودوا كنائسهم المحلية. أحب أن أشاهدهم يكافحون معاً وسط التحديات، ويقعون في أخطاء، وخلال ذلك كله ينضجون. يشبه الأمر قضاء الوقت في رفقة التلاميذ الاثني عشر: رجال عاديون، غير خالين من العيوب يعيشون لتحقيق دعوة غير عادية بنعمة الله. يمثل الشيوخ في كنيسة جماعة من الإخوة حقاً بالنسبة لي؛ ولا أتخيل أنني أستطيع أن أخدم من دون إخوتي الرعاة هؤلاء.

أحب الشيوخ لسبب آخر: إنهم خطة الله لقيادة كنائسهم. فقد دبر الله دوماً رعاة لشعبه. فأعطى إسرائيل موسى، وصموئيل، والقضاة. وأقام لهم الملك داود، الراعي الأول لإسرائيل بلا منازع. ورغم ذلك، فإن كل أولئك الرجال، بمن فيهم داود، أخفقوا بشكل أو بآخر. قاد الملوك بعد داود الشعب إلى عبادة الأوثان والظلم. وهكذا، بدأ الأنبياء يتكلمون عن الراعي الآتي، "داود" الجديد (على سبيل المثال، إشعياء ٩: ١-٧؛ حزقيال ٣٤: ٢٠-٢٤).

١- إن قصدي من استخدام كلمة علماني هو المعنى الأساس لكلمة "متطوع" أو "العامل من غير أجر". وليس قصدي من استخدام الكلمة أن أُلْحَ إلي تفرقة بين رجال الدين والعلمانيين. بل على النقيض من ذلك، هذا الكتاب سيقمُّ الحجة لإثبات فكرة أن الشيخ العامل من غير أجر والراعي أو القس العامل بأجر يشغلان المنصب نفسه، حتى إذا قررت جماعة المؤمنين أن تدفع للأخير لكي يعطي المزيد من الساعات لأداء مهمته.

حَقَّقَ اللهُ وعده إذ أرسل يسوع، ابن داود، الراعي الصالح الذي بذل حياته من أجل الخراف وقام من بين الأموات. لكن هذا لم يكن كل شيء. فقد أوكَل يسوع إلى الرسل، ثم الشيوخ، مَهْمَةً رعاية الرِّعِيَّةِ باعتبارِهِم رعاةً مساعدين له وتحت إشرافه حتى يجيء ثانية (أفسس ٤ : ٧-١٣ ؛ بطرس ٥ : ١-٤). لذا الشيوخ هم مُساعدو يسوع في رعاية كنائسه.

أَتْقِيَاءٌ، وَلَهُم نِيَّةٌ حَسَنَةٌ، وَمُرْتَبِكُون

على قدر ما أَحَبُّ الشيوخ لهذه الأسباب، لاحظتُ مشكلةً متكررة الحدوث. مع أن الشيوخ أَتْقِيَاءٌ على نحو متميز ويتمتعون بنية حسنة، فإنهم كثيراً ما يكونوا مرتبكين بشأن ما يستلزمه العمل في منصب الشيوخ. لا يتمتع الشيوخ دائماً بإدراك كامل لما يُفترض أن يعملوه. ومن الأمانة أن أقولَ إننا، نحن الرعاة، نشترك معهم في ارتباكهم.

نتيجة لذلك، يميلُ الشيوخُ إلى استيراد نماذج أخرى في القيادة لإدارة الكنيسة، فيستعينون، عادةً بخبراتهم الشخصية والمهنية. فبدون وصف كتابي واضح لوظيفة الشيوخ، تجد هؤلاء الرجال يتَّكَلونَ في الطبيعي على معرفتهم السابقة. إنهم يفترضون أن منصب الشيخ مثل:

- إدارة مدرسة
- إدارة شركة

- قيادة سفينة حربية
 - إدارة مشروع
 - إدارة عمليات
 - الإشراف على مقالين فرعيين
 - العمل كعضو في مجلس أمناء
- تُثبت جوانب من هذه الخبرات الحياتية دائماً أنها مفيدة لدور الشيوخ القيادي. غير أن الإشراف على شئون الكنيسة مهمة فريدة من نوعها.

”أنا شيخ.. ماذا بعد؟“

يسعى هذا الكتاب إلى أن يُقدّم وصفاً وظيفياً كتابياً موجزاً للشيوخ. أريد أن أعرض ملخصاً ملهمًا تسهل قراءته، لمهمة الشيخ، ويمكن تقديمه للشيخ المعين حديثاً أو المحتمل الذي يحتاج إلى معرفة من هو الشيخ وماذا يفعل. وأرجو أن يُجيبَ الكتاب عن سؤال كل رجل تقي، صادق النية: ”أنا شيخ.. ماذا بعد؟“

لكن هذا الكتاب ليس فقط للشيوخ الحاليين أو الطامحين أن يكونوا شيوخاً، بل أيضاً لأعضاء الكنيسة. تحتاج جماعة المؤمنين بكاملها أن تفهم خطة الله للكنيسة المحلية، بما في ذلك خطة الله للقيادة. من

الممكن أن يشعر أعضاء الكنيسة بالقدر نفسه من الحيرة والارتباك فيما يتعلق بالوصف الوظيفي لدور الشيخ مثل الشيوخ أنفسهم.

لهذا أصلي، أن يعطي هذا الكتاب دفعةً صحية لشعب الكنيسة، إذ يتحد الأعضاء والقادة حول رؤية كتابية للخدمة وقيادة الكنيسة المحلية. أرجو أن يقرأ هذا الكتاب المؤمنون الخاملون، الذين لا يفعلون شيئاً سوى أن يُدْفئوا مقاعد الكنيسة، ويختبروا رغبة تستحثهم على رعاية عائلاتهم وكنائسهم. وأخيراً، أصلي أن يستخدم الله هذا الكتاب الصغير ليغيّر مسار حياة بعض الرجال بأن يدعوهم إلى العمل في الخدمة الرعوية بتفرُّغ تام.

الشيوخ، والنُّظار، والرعاة

كلمة موجزة عن المصطلحات: سأستخدم في هذا الكتاب مُصْطَلَحِي شيخ وناظر بالتبادل لأن العهد الجديد يستخدمهما بالتبادل.^٢ إن المشيخة وظيفية واحدة لها لَقَبَيْن.

حسنًا، في الواقع توجد ثلاثة ألقاب. وسأبرهنُ في الفصل الثاني أن مصطلح قس (أي: راعي) يشير إلى المنصب الكنسي نفسه مثل الشيخ والناظر (الأسقف). ومن الناحية الكتابية، فإن "الرعاة" هم "نُّظار"،

٢- لاحظ استخدام كلمات «الشيوخ، والنُّظار، والرعاة، والأساقفة» بالتبادل في النصوص التالية: (أعمال ٢٠: ١٧، ٢٨؛ تيطس ١: ٥-٧؛ بطرس ٥: ١-٥).

أي: أساقفة. فذلك الشخص في الكنيسة الذي ندعوه عادة "راع" هو شيخ يتقاضى أجرًا، والشخص في الكنيسة الذي ندعوه عادة "شيخ" أو "ناظر (أسقف)" هو راعٍ علماني يخدم من غير أجر.

سواء كان الشخص شيخًا، أو راعيًا، أسقفًا، أو قسًا، يعمل بأجر أو متطوعًا، فإنه يشغل المنصب أو الوظيفة نفسها. ولكن ما هي هذه الوظيفة؟ ما المفترض أن يعمله الشيوخ في الكنيسة المحلية؟ ما هي أوامر يسوع القائد للرعاة المساعدين، الذين يعملون تحت قيادته؟ كيف يعرفون إن كانوا ناجحين في تحقيق المهمة؟

قبل أن نجيب عن تلك الأسئلة، يجب أن نفعل شيئًا أساسيًا بدرجة أكبر. نحتاج إلى فهم المؤهلات الكتابية للاضطلاع بمنصب الشيخ. إن كنت تفكر في العمل بوظيفة الشيخ، فإن مهمتك الأولى هي أن تُمَيِّزَ إن كنتَ جاهزًا لها أم لا!

لا تَفْتَرِضْ

صرتُ تلميذًا ليسوع وأنا في سن ما قبل المراهقة، بعد أن سمعت خدمة الإنجيل في كنيسة معمدانية صغيرة خارج مدينة لاس فيجاس في ولاية نيفادا، قدمها أحد الشيوخ. ولما أصبحت في السادسة والعشرين، صرت الراعي الرئيسي (أو يمكنك قول: "الشيخ الرئيسي") لكنيسة معمدانية صغيرة في ضواحي بوسطن، بولاية ماساتشوستس. ولعلك تفترض أنني كنت أفهم كل ما يقتضيه منصب الشيخ من التزامات. لكن صدّق أو لا تُصدّق، لم أبدأ في دراسة ما يقوله الكتاب المقدس عن شيوخ الكنيسة بحق إلا بعد أن شغلت هذا المنصب.

لما فعلت ذلك، فوجئت بأمرين. أولاً: ذهلت من كمّ ما يقوله الكتاب المقدس عن هذا الموضوع. تكلم مُعْظَمُ كُتَّابِ العهد الجديد، تقريباً، عن الشيوخ، في أكثر من عشرة نصوص. وقد بات واضحاً لي أن الشيوخ الذين على صورة المسيح ليسوا سمة اختيارية للكنيسة؛ لأنهم جوهر خطة الله لرعاية كنائسه. كيف كنت غافلاً عن هذا الأمر؟

ثانيًا: أذهلني أيضًا كيف أن الوصف الوظيفي الكتابي، علاوة على مؤهلات الشيوخ، **يختلفان اختلافًا شاسعًا** عما كنت أعتقد. فقد كنتُ أظنُ أنني مؤهلٌ لأكونَ راعيًا وشيخًا لأنني أحب يسوع، ولأنني حاصل على درجة علمية من إحدى كليات اللاهوت، ومتمكنٌ من الوعظ بدرجة محترمة. فما حاجتي لأكثر من هذا؟!

قد تفترضُ أنه ينبغي أن تكونَ شيخًا أنت أيضًا لأسباب مختلفة. ولعلك تؤمن بأن الوقت قد حان لانضمامك إلى مجلس شيوخ الكنيسة؛ لأنك كنتَ عضوًا أمينًا في الكنيسة. وخدمتَ لفترتين في لجنة الإرساليات، واستضفتَ في بيتك اجتماعًا لدراسة الكتاب المقدس، وعلمتَ أطفال الصف الثاني في مدارس الأحد حين لم يجد المسؤولون معلمًا. كما دفعتَ كل ما استحقَّ عليك، والآن حان دورك لتفقد.

أو ربما تفترض أنك عضو لا غني عنه في مجلس الشيوخ بسبب تبرعاتك المالية الضخمة. والكنيسة لم تكن لتقدر على تجاوز السنة المالية بموازنة إيجابية من دون الشيك المصرفي الذي تبرعت به. يستحق المتبرعون الأسخياء أن تكونَ لهم كلمة معتبرة، ومكانة رفيعة في المجالس الإدارية. تلك هي القواعد؛ وإلا قد تستعينُ كنيسةُك بقائدٍ لا يتمتعُ بخبرة كافية في مجال الأعمال.

من المحتمل أيضًا أن تعتقد أنك يجب أن تكون قائدًا في الكنيسة لأنك قائد خارج الكنيسة. لعلك تعملُ مديرًا لإحدى الشركات الناجحة،

لا تَقْتَرِضْ

أو عضواً لمجلس إدارة إحدى المؤسسات التي لا تهدف للربح، أو رئيس قسم، أو قائد كتيبة من الجند، أو مدرب فريق. وبناء عليه، تفترض بثقة أن مهاراتك، وخبراتك، ومواهبك القيادية تجعلك مرشحاً مثالياً لمنصب الشيخ.

أليس كذلك؟

كما سبقَ وقلْتُ في المقدمة، إن دورك الأولي، المتعلق بمنصب الشيخ، هو التحقق من إذا ما كنت جديراً أن تكون شيخاً أم لا، بناءً على المؤهلات الموضحة في الكتاب المقدس. لا تفترض ذلك حتى إن كنتَ خدمتَ كشيخ من قبل، اسمح لكلمة الله أن تفحص جدارتك للترشح لهذا المنصب.

فيما يلي ستة مؤهلات لمنصب الشيخ مقتبسة من العهد الجديد. اقرأها بروح الصلاة. وتوقف كثيراً وتأمل وفكر فيهم، ثم ادع آخرين للحديث معهم. اعرض هذا الجزء على زوجتك، أو بعض الأصدقاء، أو أحد الشيوخ، واسأل: «هل هذه المؤهلات تصفني؟»

ستعرف أنك مؤهل للخدمة كشيخ، إن كُنْتَ...

١- ترغب في أن تكون شيخاً

في واحد من أطول المقاطع التعليمية في العهد الجديد عن الشيوخ، بدأ الرسول بولس بقول: «صَادِقَةٌ هِيَ الْكَلِمَةُ: إِنْ ابْتَغَى أَحَدٌ الْأُسْقُفِيَّةَ،

فَيَشْتَهِي عَمَلًا صَالِحًا» (١ تيموثاوس ٣: ١). وعبر بطرس عن هذا بقوله: «ارْعَوْا رَعِيَّةَ اللَّهِ الَّتِي بَيْنَكُمْ نَظَارًا، لَا عَنِ اضْطِرَارٍ بَلْ بِالْاخْتِيَارِ»، وذلك بحسب مشيئة الله (١ بطرس ٥: ٢).

ينبغي أن تتمتع بالتطلع، والرغبة، والحرية. ويجب عليك أن تريد هذا المنصب. تتطلب الرعاية بأمانة الكثير منك. وإن لم يكن بداخلك جوع لأداء هذا الدور، ستستنزف طاقتك وجهدك. وطبعًا، لا يعني هذا أن كل من يريد أن يكون شيخًا مؤهل لهذا الدور، لكنه يعني أن الافتقار إلى الرغبة مشكلة.

يتمتع أحد الأعضاء في كنيسةتي بإمكانية أن يكون نموذجًا حسنًا للشيخ. فطلب المسؤولين عن الترشيح منه أن يخدم كشيخ في الكنيسة. وفي الواقع طلبنا منه ثلاث مرات. ويبدو أن المرة الثالثة هي التي أثرت فيه، فافقتع؛ ورضخ أخيرًا لطلبنا. ولكن، بعدما تكلمت معه أكثر، بات واضحًا أن ليس لديه رغبة قوية في أن يكون شيخًا. فقد وافق أن يخدم، جزئيًا لأنه رفض هذا العرض مرتان من قبل. وأخيرًا، أجبره دافع من الإحساس بالواجب نحو كنيسةته بأن يقبل. وهذا هو بالضبط ما حذر منه بطرس.

لكنه أخبرني أيضًا برغبته في أن يقطع بعض الوقت حتى يشارك جيرانه وسكان بلدته برسالة الإنجيل. لا أستطيع إلا أن أتصور مدى الإحباط الذي يمكن أن يشعر به لو استثمر وقته فقط في رعاية الرعية

لا تَقْتَرِضْ

بينما كان يتوق إلى أن يَصُمَّ إلى الرعية الذين يخلصون. لذلك بعد الكثير من الصلاة، غيّر رأيه وتراجع بشجاعة عن الترشُّح لهذا المنصب في المرة الثالثة. فقد كُنّا على وشك أن نخلط بين مبشِّرٍ وشيخ.

على الرغم من أن كل الدوافع ليست شريرة، فإنه يجب أن يكون لديك رغبة داخلية في أن تكون شيخًا. هل وُضِعَ الروح القدس اشتياقًا مُقدَّسًا في قلبك لرعاية الكنيسة المحلية؟ ما دافعك؟

٢- مثالاً للشخصية التقية

ربما تفترضُ أن أهم صفة مميزة يجب أن تتوفر في الشيخ هي مهارة إدارة المؤسسات. وعلى الرغم من أن القدرة على الإدارة تشكّل جزءًا من قدرات أسقف (المشرف على) الكنيسة، يُشدد كُتاب العهد الجديد بقوة على الشخصية التي تتميز بالتقوى. يجب على الرعاة المساعدين ليسوع أن يعكسوا صفات شخصية يسوع. أن يتسم شيخٌ بالتقوى وموهبة قيادية متوسطة أفضلُ من قائدٍ ذي شخصية ساحرة للجماهير وعيوب أخلاقية صارخة.

اقرأ بعناية القائمتين اللتين ذكرهما بولس وتحويان مؤهلات الأسقف في المقطعين الكتابيين التاليين. ينبغي أن تتوافق هذه الفضائل مع الشيخ تمامًا كالحُلة التي خاطها الخياط خصيصًا له:

«فَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ الْأُسْقُفُ بَلًا لَوَمٍ، بَعْلَ امْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ، صَاحِبًا، عَاقِلًا، مُحْتَشِمًا، مُضِيْفًا لِلْغُرَبَاءِ، صَالِحًا لِلتَّعْلِيمِ، غَيْرَ مُدْمِنٍ

الْخَمْرِ، وَلَا ضَرَابٍ، وَلَا طَامِعٍ بِالرَّيْحِ الْقَبِيحِ، بَلْ حَلِيمًا، غَيْرَ مُخَاصِمٍ، وَلَا مُحِبٍّ لِلْمَالِ» (١ تيموثاوس ٣: ٢، ٣).

«لأنَّهُ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ الْأُسْقُفُ بِلَا لَوْمٍ كَوَكِيلِ اللَّهِ، غَيْرَ مُعْجَبٍ بِنَفْسِهِ، وَلَا غَضُوبٍ، وَلَا مُذْمِنٍ الْخَمْرِ، وَلَا ضَرَابٍ، وَلَا طَامِعٍ فِي الرِّيحِ الْقَبِيحِ، بَلْ مُضِيفًا لِلْغُرَبَاءِ، مُحِبًّا لِلْخَيْرِ، مُتَعَقِّلًا، بَارًّا، وَرِعًا، ضَابِطًا لِنَفْسِهِ» (١ تيطس ١: ٧، ٨).

نظرًا لأهمية الشخصية المتشبهة بالمسيح، دعونا نتمهّل لنفكر في بعض سمات هذه الشخصية بالمزيد من التفصيل.

بلا لوم. بدأ بولس القائمة بهذه الفضيلة «بلا لوم». لا تعني هذه الأوصاف أن الشيخ قد سما فوق الخطية، ويعيش حياة أخلاقية خالية من الخطأ. لو كان هذا هو الحال، فعلى الكنائس أن تطرد كل شيوخها. بل بالأحرى، يُظهر الرجل الذي بلا لوم درجة نموذجية من التشبه بالمسيح، وخالية من الخطايا الصارخة. أن يتّصف الرجل بأنه بلا لوم هي صفة قريبة لأن يكون «حَسَنُ السَّمْعَةِ وَيَتَمَتَّعُ بِاحْتِرَامِ الْآخَرِينَ لَهُ» (١ تيموثاوس ٣: ٢)، و«بارًّا» «وورعًا» (١ تيطس ١: ٨).

في كتابه الذي يتناول مؤهلات الشيوخ، يشرح ثابتي أنيابيلي (Thabiti Anyabwile) الصفة السابقة على النحو التالي: "المقصود بأن يكون المرء بلا لوم أن على الشيخ أن يكون رجلًا يرى الجميع أن لا

لا تَقْتَرِضْ

غبار على تصرفاته ولا على أخلاقه. إذ يصاب الناس بصدمة عند سماع اتهام لمثل هذا الرجل بارتكاب هذه الأفعال.³

إن تعيين رجال بلا لوم من شأنه أن يُدَكِّي ثَقَّةَ جماعة المؤمنين في قادتهم. فضلاً عن ذلك، فإن قادة الكنائس الذين يتصفون بأنهم بلا لوم يحمون شهادة الكنيسة لدى المجتمع، إذ قال بولس: «وَيَجِبُ أَيْضًا أَنْ تَكُونَ لَهُ شَهَادَةٌ حَسَنَةٌ مِنَ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَارِجٍ، لِئَلَّا يَسْقُطَ فِي تَغْيِيرٍ وَفَخْ إِبْلِيسَ» (١ تيموثاوس ٣: ٧).

يضبط نفسه. وفقاً للصورة التي عرضها بولس ينبغي على الشيوخ أن يكونوا صابرين، وعاقليين، ومتعافين، ومنضبطين. يعد ضبط النفس (التعفف) من ثمر الروح القدس بحسب (غلاطية ٥: ٢٣)، وعلامة من علامات الحياة المسيحية. باختصار، يتميز الإنسان الممتلئ من الروح القدس بأنه يضبط نفسه.

من المثير للاهتمام في كلتا القائمتين أن بولس حذّر من مظهر محدّد لعدم ضبط النفس (التعفف): إدمان الخمر. يدمر السكر حياة المرء ويجرّه إلى مزيدٍ من الخطايا. أعرفُ رجلاً، ألقَ عن شرب الخمر عندما صار شيخاً في الكنيسة. ما أُراده هذا الرجل هو أن يكون بلا لوم

3. Thabiti Anyabwile, Finding Faithful Elders and Deacons (Wheaton, IL: Crossway, 2012), 57.

فيما يتعلق بشرب الخمر، ونموذجاً أمام أي عضو في الكنيسة يكافح للتخلص من إدمان الكحوليات أو الإفراط في تناولها.

على الرغم أن الكتاب المقدس لا يطالب الشيوخ بالامتناع عن الكحوليات، فإنهم يجب أن يتحلوا بالقدرة على إنكار الذات التي أظهرها ذلك الأخ الشيخ.

هل تخفي إيماناً سرّياً للكحوليات، أو المخدرات، أو المواد الإباحية، أو القمار؟ هل تفقد السيطرة على غضبك، أو تبذير المال، أو السباب، أو النميمة؟ هل تحتاج إلى تأجيل خطوة أن تكون شيخاً لفترة ما حتى تُكرّس نفسك لصلب خطية محددة صارت عادة عندك، لكي تنمّي لديك فضيلة ضبط النفس؟

مترفّق (لطيف). يقول مثلٌ سواحيلي (اللغة الرسمية في كينيا) معروف: "حين يقاتل الفيل، يُداسُ العشب". وعلى المنوال نفسه، حين يكون راعي الكنيسة مُولعاً بالشجار وعنيفاً، تتأذى الرعية. لهذا وَصَفَ بولس الشيخ المؤهَّل بأنه «غير ضراب، أي: لا يُحب التعارك والشجار، بل حليماً، غَيْرُ مُخَاصِمٍ» (١ تيموثاوس ٣: ٣) و«غير مُعجب بنفسه، ولا غضوب» (١ تيطس ١: ٧). إن أساقفة الكنيسة الأنانيين، والمتسلّطين، والمولعين بالجدل، والانتهازيين، والفطّنين، والمتهورين، وسريعي الانفعال يدوسون تحت أقدامهم أعضاء الكنيسة ويسحقونهم.

لا تَقْتَرِضْ

على النقيض مما سبق، يجب على الشيوخ أن يكونوا عمالقةً لطفاء مترفقين. فاللُّطْفُ ليس ضَعْفًا أو جُبْنًا. فالشيوخ المترفقون يمارسون سلطتهم بتحزن الراعي وحساسية الأب المحب. ذات مرة، كنت أشاهد برنامجًا تليفزيونيًا يعرض مشهدًا لسلحفاة أخذت ترحف حتى اقتربت من فيلٍ كان يشرب الماء من بركة ماء. وإذ نظرَ الفيلُ إلى الأسفل، أراح بحذر شديد السلحفاة بإصبع قدمه جانبًا حتى لا يسحق ذلك الحيوان الزاحف الصغير دون قصد. أصابني الذُّهولُ لما رأيت كيف أبدى هذا الحيوان الضخم مثل هذا القدر من الاهتمام بحيوان أصغر منه. يشعر الناس بذهول مماثل حين يعاملون بلطفٍ من قائد كنيسة. أمترقُ أنتَ أم قاسٍ؟ أصانعُ سلام أم مثيرٌ للصراعات؟ هل تُصغي جيدًا أم تقاطع حديث الطرف الآخر لتعبّر عن رأيك؟ من الصعب قياس هذه الأمور داخل نفسك.

تحلّ بالجرأة واطلب من بعض أعضاء الكنيسة المتبصرين أن يعطوك تقييماً صريحاً.

غير طماع. يجب على الشيوخ ألا يكونوا «طامعين في المال». قال بطرس إن على الشيوخ أن يخدموا، «لا لِرِيحِ قَبِيحٍ، بَلْ بِنَشَاطٍ» (١بطرس ٥: ٢). تُمثِّلُ هذه الكلمات توبيخاً لازعاً لأولئك الرعاة الذين يستغلون خدماتهم ليغتتوا، وليعيشوا حياةً مترفة. احذر من رعاة يجزون صوف الرعية.

الطمع ليس مشكلةً للرعاة الذين يتقاضون أجرًا فحسب؛ فالشيوخ العلمانيون الذين يعيشون من أجل كسب المال يجدون صعوبة أيضًا في استثمار الوقت والطاقة في رعاية جماعة المؤمنين في الكنيسة. يتلاعبُ الشيوخُ العلمانيون بالكنائس أحيانًا، من خلال التبرعات التي يقدمونها. قد يسيطرون على ميزانية الكنيسة، ويوجهون موارد الكنيسة المالية نحو الخدمات المفضَّلة لديهم. إنهم يُقيِّمون الحالة الصحية للكنيسة ونجاحها على أساس التقرير الشهري الذي يقدمه أمين الصندوق. وحين يقود الكنيسة رجالٌ محبوبون للمال، ستكون النتيجة الحتمية توقُّف خدمات، مثل الإنفاق على الفقراء، وزرع الكنائس، والكراسة العالمية. فلماذا ننفق مبالغ كبيرة في قضايا لن تؤدي مباشرة إلى زيادة ثراء تلك الملكية الإقطاعية التي يهيمن عليها الشيخ الطماع؟

كيف تتعامل مع المال؟ هل تحبه وتعيش لجمعه؟ هل تتلذذ بالعطاء للكنيسة المحلية، ولنشر الإنجيل، ولسد احتياجات الآخرين؟ هل تعطي عشورًا أم عطاء رمزيًا، عطاء سخياً مُضحياً أم مجرد رمز؟ هل تُقدِّم عطاءك بشروط؟ فلتفحص نفسك بدقة، «لأنَّ مَحَبَّةَ الْمَالِ أَصْلُ لِكُلِّ الشُّرُورِ» (١ تيموثاوس ٦: ١٠).

قَبْلَ أَنْ نُكْمَلَ حديثنا، أرجو أن تتوقَّف للحظة، وتُفكِّر في يسوع. عندما اتَّهمه رؤساء اليهود بأنه حليفُ الشيطان لم تلتصق به أيَّة تهمة، لأنه كان بلا لوم. وحين لَوَّح بطرس بسيفه مهَّدًا، متيحًا له فرصة الهرب من الذين جاءوا للقبض عليه، ظلَّ يسوع ضابطًا لنفسه، عازمًا

لا تُقَرِّضْ

على تحقيق ما خَطَّطَ له هو والآب أن يتحقق على الصليب. كان يسوع لطيفاً، ومترفقاً في تعامله مع الضعيف، والمجروح، والمريض. وحين عَرَضَ عليه الشيطان ممالك العالم، لم يكن يسوع طامعاً؛ بل في كل تلك اللحظات كان يتصرفُ بصفته الراعي الكامل الذي أوكله الله على الرعية، فضلاً عن أنه وضع نموذجاً نموذجاً يستحق أن يحتذى به الشيوخ في الكنائس اليوم.

٣- يمكنك أن تُعَلِّمَ الكتاب المقدس

قال بولس إن على الأسقف (الناظر) أن يكون «صالحاً للتعليم» (١ تيموثاوس ٣: ٢). يعتبرُ تعليمُ الكتاب المقدس أمراً محورياً لخدمة الشيخ الرعوية. وسنتناول موضوع التعليم بشيء من التفصيل في الفصل الثالث. أما الآن فاسأل نفسك ببساطة هذا السؤال: "هل علَّمتُ آخرين من كلمة الله وحققتُ نتيجة أو تأثيراً ملحوظاً؟"

على مدار السنين، ظل شيوخ كنيستنا يناقشون مسألة المرشحين المحتملين ليكونوا شيوخاً. وفي إحدى المرات اقترح أحدهم ترشيح أحد المؤمنين الذي كان عضواً أميناً في الكنيسة لسنوات. تكلمنا عن شخصية هذا الرجل النقية وعن زواجه السعيد. ثم بدأنا نُعدُّ الخدمات واللجان التي خدم فيها. فأدركنا أن هذا الرجل قد خَدَمَ متطوعاً مئات الساعات. وكُلَّمَا تَكَلَّمْنَا عنه أكثر، بات واضحاً أكثر أن هذا الرجل ينبغي تعيينه شيخاً في الكنيسة.

ثم طرح أحدهم هذا السؤال: "هل يمكنه أن يُعَلِّم الكتاب المقدس؟" لا شك أن الرجل الذي نتحدث عنه قد علّمنا كثيراً بقدوته الحسنة.

غير أن هذا ليس ما قصده بولس حين وضع شرطاً ألا وهو أن يكون الشيخ قادراً على التعليم. كان بولس يقصد أن يكون الشيخ قادراً على توصيل الإنجيل والعقائد الكتابية للمستمعين بطريقة شفوية ومثمرة. ينبغي على الشيخ أن يكون «مُلازِمًا لِلْكَلِمَةِ الصَّادِقَةِ الَّتِي بِحَسَبِ التَّعْلِيمِ، لِكَيْ يَكُونَ قَادِرًا أَنْ يَعْظَ بِالتَّعْلِيمِ الصَّحِيحِ وَيُبَوِّخَ الْمُنَاقِضِينَ» (تيطس ١ : ٩).

لكننا في بعض الحالات أدركنا أن هذا الأخ لم يُعَلِّم قط حتى في إطار محدود، مثل المجموعات الصغيرة في البيت. لذلك قررنا أن نوجِّل ترشيح هذا الأخ مؤقتاً حتى نستكشف هذه المسألة معه في محادثة أخرى لمتابعة الموضوع.

يرعى الشيوخ الرعية، مثل يسوع. وكما نادى يسوع بكلمة الله بسلطان، هكذا يجب على الشيوخ المحتملين أن يُعرِّفوا بقدرتهم على تعليم الكتاب المقدس ببراعة.

٤- تفقد عائلتك حسناً

يضع المجتمع الأمريكي حداً فاصلاً واضحاً بين العمل العام والخاص، والبيت. نحن نقيّم القائد في مجال الأعمال بقدرته على

لا تَقْرَضْ

زيادة الأرباح وتحقيق أهداف الشركة، وليس على أساس جودة حياته الشخصية. إن عالمَ القائد في بيته: أولاده، وزواجه، وحياته الجنسية، ليس من شأن أحد أن يتدخل فيه.

لكن في عائلة الله، تتميز حياة الشيخ في بيته بأهمية هائلة. وفي الواقع، يشكل الزواج وتربية الأولاد دليلاً على كون الشيخ لائقاً لهذا المنصب. فُكر في ثلاثة وسائل تؤهل الرجل الذي يقود عائلته لذلك المنصب القيادي في الكنيسة. يجب أن يكون الشيخ:

زوج امرأة واحدة. ترجمت معظم نُسَخ الكتاب المقدس الإنجليزية كلمات بولس هكذا: «بعل (زوج) امرأة واحدة» (١ تيموثاوس ٣: ٢؛ تيطس ١: ٦). لكن بعض النسخ ترجمتها على هذا النحو: “رجل لامرأة واحدة.” سيكون من الصعب أن نَعْرِفَ بدقة كيف تُترجم هذه العبارة.^٤ لكنّها، على الأقل، توصّل مفهوم الزوج المخلص الذي يُكرم عهد الزواج المقدس.

٤- يبدو من المستبعد أن يكون غرضُ العبارة هو حظرُ لتعدد الزوجات بما أن العبارة المقابلة لعبارة “بعل امرأة واحدة” مُستخدمة لوصف الأرامل المؤهلات للحصول على مساعدة من الكنيسة (١ تيموثاوس ٥: ٩)، وقطعاً لم توجد ممارسة لتعدد الأزواج في العالم اليوناني- الروماني. وباستبعاد تعدد الزوجات، ربما يمكن فهم العبارة بطريقتين:

- (١) إمّا حرفياً، كي تعني أنه لم يتزوج ثانية قط، سواء كان مطلقاً أم أرملاً؛
- (٢) أو مجازياً، ربما كي تعني شيئاً من قبيل “أنه زوجٌ مخلص”. وأنا أميل إلى التفسير الأخير. وللحديث أكثر عن هذا، انظر:

George Knight III, *The Pastoral Epistles: A Commentary on the Greek Text* (Grand Rapids: Eerdmans, 1992), 157-58.

هل كنتَ دومًا وفيًّا جنسيًّا لزوجتك؟ هل تتردد على المواقع الإباحية؟ هل طَلَّقتَ زوجتك من قبل؟ كيف تجري الأمور بينك وبين زوجتك الآن؟ لا أحد يتمتع بزواج أسطوري خالٍ من أية مشكلات. ولكن إن كان زواجك يمر بوعكة (أو أسوأ من ذلك) أو إن كنتَ اختبرتَ فشلًا في زواجك في الماضي، ينبغي أن تتحدث مع شيوخ ورعاة حكماء قبل السعي إلى أن تكون شيخًا.

إن كيفية معاملتك لعروسك له أهمية كبيرة جدًا إن كنت تفكر في أن تكون يومًا راعيًا لعروس المسيح.

هل شرط أن تكون «بعل امرأة واحدة» يستثني الإخوة غير المتزوجين من أن يكونوا شيوخًا؟ بناء على تعليم بولس الواضح في مواضع أخرى بشأن مميزات خدمة العُزَّاب، وبناء على نموذج بولس بصفته رسولاً غير متزوج (١كورنثوس ٧: ٧، ٢٥-٣٨)، يبدو أن العزوبية نفسها ينبغي ألا تُشكّل عائقًا أمام تعيين الرجل في منصب الأسقف أو الناظر. مع هذا، إن كنت غير متزوج، اسأل نفسك: "هل أحافظ على طهارتي الجنسية؟ هل أنا بلا لوم في علاقاتي مع الجنس الآخر؟"

أبًا فعليًا: إن مهارة الإدارة مهمة للشيوخ. يجب أن يتمتع الأساقفة بقدرات قيادية، وذلك حسبما يتضح ضمنيًا من لقب "أسقف" أي: "ناظر". مع ذلك، نحن نربط إلى حد نموذجي بين "الإدارة" والموظفين،

لا تَقْتَرِضْ

والسياسات، والخُطط المالية والاستراتيجية. كان بولس يضع في اعتباره مسرحًا آخر للقيادة: قيادة الأولاد والبيت.

الشيخُ هو من يدبِّر أو يدير بيته على نحو فعال، ويربِّي أولاده على طاعته واحترامه بكل وقار. «وإِنَّمَا إِنْ كَانَ أَحَدٌ لَا يَعْرِفُ أَنْ يُدَبِّرَ بَيْتَهُ، فَكَيْفَ يَعْنَتِي بِكَنِيسَةِ اللَّهِ؟» (١ تيموثاوس ٣: ٤، ٥).

هل ترى أوجه التشابه بين أن تكون أبًا وأن تكون شيخًا؟ يضطلع الرجل، في كلتا الحالتين، بدور قيادي. وفي كلتا الحالتين، يتحمل المسؤولية الرئيسة في مساعدة من تحت رعايته على أن ينموا ويعيشوا معًا في تناغم. إن كلاً من تربية الأبناء والمشيخة ينطوي على إرشاد الناس وتوجيههم نحو النضج داخل إطار جماعة المؤمنين. تعلَّم أن ترعى عائلة الله بأن ترعى عائلتك أولاً.

هل أولادك يُحسنون التصرُّف أم خارجون عن السيطرة؟ هل تُعلِّم أولادك في البيت كلمة الله والإنجيل؟ أم أن أولادك مُغْتَاطون من قسوتك أو من فقر تواصلك معهم (أفسس ٦: ٤)؟ ماذا عن الجو العام في بيتك؟ هل يُسود عليه الرعاية، والنظام، أم هو جو سام، وغير صحي، وفوضوي؟

هل هذا النص يستثني أولئك الإخوة، الذين لم يُرزقوا بأولاد، من وظيفة الشيوخ؟ لا، ليس من حيث المبدأ. ومع ذلك، إذا رفض الرجل

المتزوج أن يُنجبَ أولادًا حتى يتمتع بأسلوب حياة معيّن دون أطفال يمثلون عقبة أمامه، ينبغي أن يثير هذا لدينا بواعث القلق. هل محبة العالم منعه من طاعة تلك الوصية الأساسية بالزواج: «أَثْمِرُوا وَاكْثُرُوا» (تكوين ١: ٢٨)؟ أما إذا كان الرجل لم يُنجب أطفالاً لأسباب خارجة عن إرادته، ينبغي له أن يبرهن على قدرته على الإثمار في تلمذة آخرين في مرحلة ما من حياته. وإليك المبدأ: عيّن رجالاً رعاة إذا كانوا بالفعل مشتركين في خدمة رعية فعالة.

مُضَيَّافًا: أوصى بولس مرتان بأن يكون الأساقفة «مُضَيَّافِينَ» (١ تيموثاوس ٣: ٢؛ تيطس ١: ٨).

يُمْكِنُ لكرم الضيافة أن يُظْهِرَ اللطْفَ، والتحنُّنَ، والرعاية للمحتاجينَ، والضعفاء، ومَنْ يعانونَ الوَحْدَةَ، وكل هذه صفاتٌ نافعةٌ للشيخ. غيرَ أَنَّ كَرَمَ الضيافةِ يَفْعَلُ شَيْئًا آخَرَ إذْ يُعْطِي فُرْصَةً لِلآخَرِينَ أَنْ يَشَاهِدُوا حَيَاةَ عَائِلَتِكَ فَعَلِيًّا.

ما الذي يراه الآخرون عندما يأتون لبَيْتِكَ تلبية لدعوتك لهم على العشاء؟ بالتأكيد لن يروا عائلة بلا عيب. لكن، هل سيشعر ضيوفك بدفءٍ واحترام متبادلين في نبرة الصوت ولغة الجسد بينك وبين زوجتك؟ وبينك وبين أولادك؟ هل يرون أن أولادك يطيعونك، وأنك تتجاوب بطريقة صحيحة حين يعصاك أولادك؟ لو كان بيتك كنيسة، هل سيُودُّ ضيوفك أن يأتوا لزيارته مرة أخرى؟

٥- إن كنتَ ذَكَرًا

يجبُ أن يكونَ ذلكَ قد صارَ واضحًا الآنَ، لكن دعني أقولَ بصراحة إن الله قد دعا الرجالَ وحدهم، ليكونوا شيوخ الكنيسة. °فكر في الملاحظات التالية:

- قال بولس مرتين، كما رأينا سابقًا، في سياقين مختلفين، إن الأسقف يجب أن يكونَ بَعْلَ امرأة واحدة.
- وقبل أن يناقش بولس قضية الأساقفة قال على الفور: «وَلَكِنْ لَسْتُ أَذْنُ لِلْمَرْأَةِ أَنْ تُعَلِّمَ وَلَا تَتَسَلَّطَ عَلَى الرَّجُلِ، بَلْ تَكُونُ فِي سَكُوتٍ» (١ تيموثاوس ٢: ١٢). بناءً على القرينة (السياق) المباشرة، يجب أن تنطبق هذه الآية، على الأقل، على دور الأسقف (الناظر)، الذي يُعرَف على نحو أساسي بكل من التعليم وممارسة السلطة.
- رَبطَ بولس قيادة الكنيسة بقيادة العائلة. وكما دعا الله الرجال لقيادة الزواج وتربية الأبناء (أفسس ٥: ٢٢-٦: ٤)، هكذا يدعو الرجال إلى القيادة في عائلة الكنيسة.

٥- أدرك جيدًا أن هذا موضوعٌ جدليٌّ للغاية، وللأسف، لا أستطيع سوى التلميح إلى بعض الحجج تأييدًا لرأيي. ولنتناول شاملًا وكاملًا للنصوص والموضوعات ذات الصلة الوثيقة، انظر:

Wayne Grudem, *Evangelical Feminism and Biblical Truth: An Analysis of More than Disputed Questions* (Colorado Springs, CO: Multnomah, 2004).

أيعني هذا أن المرأة يجب ألا تُعلَّم أو ترعى البتة أو تواجه الخطية أو تكون قدوة في التقوى؟ كلا بالطبع. تذكّر النساء التقيات اللواتي استخدمهن الله لرعايتك وتشكيلك، مثلما أُنذَر. غير أن وظيفة الشيخ أكثر من مجرد موهبة أو خدمة. تصف كلمة "شيخ" وظيفة محددة، ودوراً إلهياً معيناً، ومنصباً مميزاً داخل الهيكل التنظيمي للكنيسة المحلية، تماماً كما أن كلمة «أب» تصف منصباً إلهياً مميزاً، عبَّه الله له في العائلة. وكما هو الحال مع دور الأب، هكذا دعا الله بسيادته رجالاً مؤهلين للقيام بدور الشيخ.

٦- إن كنت مؤمناً راسخاً في الإيمان

حذر بولس من قيام حديثي الإيمان بوظيفة الشيخ، قائلاً: «غَيْرَ حَدِيثِ الْإِيمَانِ لِنَّا يَتَصَلَّفَ فَيَسْقُطَ فِي دَيْنُونَةِ إِبْلِيسَ» (١ تيموثاوس ٣: ٦).

أحياناً يُدهِشُنَا حديثو الإيمان بحماستهم الروحية، وتغيُّرهم السريع، وكرازتهم بلا خوف. لكن تمهّل قبل أن تضع حديث الإيمان هذا، المُفَعَّم بالطاقة، في وظيفة الشيخ؛ لأنَّ أمامه بعد الكثير من النمو والامتحانات في انتظاره. يدل مصطلح شيخ، ضمناً، على الحكمة، والخبرة، وهي صفات يفتقر إليها المؤمن الجديد.

إن كنت حديث الإيمان، ركّز على التعمق في المسيح، واحترس من الكبرياء الروحي. في الواقع، دعنا نعود خطوة للوراء: تأكّد من حقيقة قبولك للمسيح. ولا تفترض! هل تُبَتّ عن خطاياك وآمنت بيسوع أن

لا تَقْتَرِضْ

يغفر لك خطاياك؟ هل تؤمن أنك بموت يسوع وقيامته وحدهما أنقذك الله من الجحيم وتصلحت معه؟ هل نلت الميلاد الثاني؟ لا شيء يُدمر الكنائس مثل تنصيب رعاة وشيوخ غير مؤمنين. كيف بإمكان شخص أن يخدم بصفته راعياً تحت قيادة يسوع، ويعكس شخصية يسوع إن لم يكن بعد مؤمناً.

تنتخب كنيسةً شيوخاً في اجتماع سنوي. ونطلب من الشيوخ المرشّحين في ذلك الاجتماع أن يشاركوا بقصة توبتهم وكيف آمنوا بيسوع. أما المرشّحون فهم عادةً ما يكونون رجالاً نعرفهم منذ سنوات وخدموا في وظيفة الشيخ من قبل. ولكن الكنيسة تؤدّ أن تسمع اعتراف هؤلاء الرجال بإيمانهم بيسوع مرةً أخرى. لست متأكداً متى بدأت كنيسةً هذه الممارسة، لكنني أرجو ألا نتوقف عنها.

هل هذا ينطبق عليك؟

أريدك أن تفعل شيئاً الآن. قبل الانتقال إلى الفصل التالي، أريدك أن تقرأ (1 تيموثاوس ٣: ١-٧) بصوت عالٍ. أنا جادٌ تماماً فيما أقول؛ اذهب إلى أي مكان تتمتع فيه بالخصوصية، إن كان ذلك ضرورياً، واقرأ هذه الآيات بصوت عالٍ:

«صَادِقَةٌ هِيَ الْكَلِمَةُ: إِنْ ابْتَغَى أَحَدُ الْأُسْقُفِّيَّةِ فَيَسْتَهَيِّ عَمَلًا صَالِحًا. فَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ الْأُسْقُفُّ بِلَا لَوْمٍ، بَعْلَ امْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ،

صَاحِبِيَّ، عَاقِلًا، مُحْتَشِمًا، مُضِيْفًا لِلْغُرَبَاءِ، صَالِحًا لِلتَّعْلِيمِ،
غَيْرَ مُذْمَنٍ الْخَمْرِ، وَلَا ضَرَّابٍ، وَلَا طَامِعٍ بِالرِّيحِ الْقَبِيحِ، بَلْ
حَلِيمًا، غَيْرَ مُخَاصِمٍ، وَلَا مُحِبٍّ لِلْمَالِ، يُدَبِّرُ بَيْتَهُ حَسَنًا، لَهُ
أَوْلَادٌ فِي الْخُضُوعِ بِكُلِّ وَقَارٍ. وَإِنَّمَا إِنْ كَانَ أَحَدٌ لَا يَعْرِفُ أَنْ
يُدَبِّرَ بَيْتَهُ، فَكَيْفَ يَغْتَنِي بِكَنِيسَةِ اللَّهِ؟ غَيْرَ حَدِيثِ الْإِيمَانِ لِنَلَّا
يَتَصَلَّفَ فَيَسْقُطَ فِي دَيْنُونَةِ إِبْلِيسَ. وَيَجِبُ أَيْضًا أَنْ تَكُونَ لَهُ
شَهَادَةٌ حَسَنَةٌ مِنَ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَارِجٍ، لِنَلَّا يَسْقُطَ فِي تَغْيِيرِ
وَفَحْخِ إِبْلِيسَ».

هذا ما طلبه أحد الرجال مني، حين كنت أخضع للفحص قبيل رسامتي
للخدمة الرعوية؛ ففتحت كتابي المقدس وقرأت (١ تيموثاوس ٣: ١-٧)
بصوت عال أمام الرجل وأمام الآخرين في القاعة. ولما انتهيت، قال
لي الرجل: "شكرًا على قراءة هذا. بقي لدي سؤال واحد. هل هذا ينطبق
عليك؟" ثم جلس.

ينبغي لنا أن نشابه يسوع إن كنا نريد أن نقود كنائسه، ويُجسّد
يسوع كل هذه الصفات المميّزة. ينبغي أن نشعر الخراف بآثار واضحة
بقوة لرئيس الرعاة في حياة وشخصية الراعي المُحتَمَل أن يعمل تحت
قيادته. لذلك، اسمح لي أن أسألك، بناءً على الوصف الوظيفي للشيخ
الذي قرأته للتو: «هل هذا النص ينطبق عليك؟»

نفوحُ منهم رائحةُ الغنمِ

قالَ الِوافدُ الجَديدُ، فيما نحن واقفون في الردهة، بعد انتهاءِ العبادَةِ في الكنيسةِ: "إذن تشبه هذه الكنيسةَ عملك، وأنتَ تعمل في مجال المبيعات، والله هو المنتج". (أتمنى لو كنتُ قد سجَّلتُ يوميَّاتي بكلِّ المحادثاتِ الغريبةِ التي دخلتُ فيها بعد العظات، بينما كنتُ واقفاً في الجزء الخلفي من الكنيسة!)

أجبتُ: "لا، ليس بالضبط".

كان الرجل يحاولُ ببساطة أن يفهمَ الكنيسةَ اعتماداً على خبراته، ويبدو أنه كان على درايةٍ بالأعمال التجارية والمبيعات؛ وهذا ما جعله يُحاول تفسير معنى الكنيسة في ضوء معرفته السابقة.

للأسف، لا يرتكب حديثو العهد بالكنيسة وحَدَّهم هذا الخطأ؛ فالرعاة، والشيوخ، وأعضاء الكنيسة كثيراً ما يسيئون تفسير معنى الكنيسة بمنظور تجاري ومؤسسي.

من المؤكد أن للكنائس جوانب خاصة بالأعمال التجارية؛ إذ كثيراً ما تستعين بمسؤولين ماليين، وميزانيات، وموظفين، وسياسات تتعلق بالعاملين، وتسهيلات وتأمينات، ومخططات بيانية لسير العمل والأهداف، ولوائح داخلية ولجان. يُشكّل كل عنصرٍ من العناصر السابقة جزءاً من حياة جماعة المؤمنين في الكنيسة، وينبغي أن يُدار جيداً لمجد الله؛ فالكنيسة المحلية كيانٌ منظمٌ.

تنشأ المشكلة حين تُصبح هذه العناصر المشابهة للأعمال التجارية جزءاً من نموذج تجاريٍّ شاملٍ لجماعة المؤمنين يتجاهل التعليم الكتابي؛ فمن المرجح أن يبدو الأمر على النحو التالي:

- الراعي = الرئيس / رئيس مجلس الإدارة
- فريق العمل = نواب رئيس مجلس الإدارة
- الأعضاء = المساهمون / العملاء المخلصون
- الزوّار = عملاء محتملون

ماذا عن دور الشيوخ؟

- الشيوخ = مجلس الأمناء

يُشبه الوصف الوظيفي للشيخ في هذا النموذج الوصف الوظيفي لعضو مجلس الأمناء. فهُم الذين يعيّنون الراعي (الرعاة) لقيادة

الخدمة. ومن ثَمَّ يجتمعُ الشيوخُ في اجتماعاتِ مجلسِ إدارةٍ لتقييم الخدمة، ومراقبةِ الشؤون المالية، ووضع السياسات. ويعرض الرعاة أمام المجلس المبادرات الجديدة ليوافق عليها الشيوخ أو يرفضونها، وطبقاً لهذا النموذج، الرعاةُ يخدمون، والشيوخ يُديرون.

لكن نموذج الشيوخ هذا يعجزُ عن تجسيدِ حقِّ كتابيٍّ رئيسي بأن الشيوخ هم أيضاً رعاة.

شيخ = راعٍ

بطريقةٍ ما، وفي مرحلةٍ ما، فرّقنا بين الرعاة والشيوخ، وبين المتخصصين في الخدمة الذين يتقاضون أجراً ومجلس الأمانة الذين لا يتقاضون أجراً. لكن العهد الجديد لا يُميّز بين هذين الدّورين.

من هو الراعي بأية حال؟ تُشتقُّ كلمةُ "الراعي" من الكلمة اليونانية "poimen". وقد تشير إلى الراعي بالمعنى الحرفي للكلمة، كأولئك الذين يعملون في الحقول في قصة لوقا عن الميلاد. ولكن تشير الكلمة في أكثر الأحيان، إلى يسوع، راعينا الصالح. كما يرتبط بها أيضاً الفعل "poimaino"، الذي يعني "يرعى" أو "يعتني بالقطيع". لذلك القس هو الراعي، كما أن الرعاية تعني الاهتمام بالقطيع. وليس من الغريب أن كلمة "راعٍ" مُشتقةً من الكلمة اللاتينية "pastor" التي تعني راعٍ!

يُعَدُّ هذا الجزء حيويًا، حيث يُطبَّق العهدُ الجديدُ صيغتي الاسم والفعل لكلمة "راعٍ" بالإضافة إلى اللغة التصويرية الأوسع للرعاية، لوصف الشيوخ وعملهم. انظر الآيات التالية التي أشدَّد فيها على المواضع، حيث تُرجمت الصيغتان "poimaino" وكذلك "poimen".

يُحذِّر بولس شيوخ الكنيسة في أفسس، قائلًا:

«اخْتَرِزُوا إِذَا لَأَنْفُسِكُمْ وَلِجَمِيعِ الرِّعِيَّةِ الَّتِي أَقَامَكُمْ الرُّوحُ
الْقُدُسُ فِيهَا أَسَاقِفَةً، لِتَرْعَوْا كَنِيسَةَ اللَّهِ الَّتِي اقْتَنَاهَا بِدَمِهِ»
(أعمال ٢٠: ٢٨).

وكتب بطرس على نحو مماثل:

«أَطْلُبُ إِلَى الشُّيُوخِ الَّذِينَ بَيْنَكُمْ، أَنَا الشَّيْخَ رَقِيقَهُمْ، وَالشَّاهِدَ
لِأَلَامِ الْمَسِيحِ، وَشَرِيكَ الْمَجْدِ الْعَتِيدِ أَنْ يُعْلَنَ، ارْعَوْا رَعِيَّةَ اللَّهِ
الَّتِي بَيْنَكُمْ نَظَارًا، لَا عَنْ اضْطِرَارٍ بَلْ بِالِاخْتِيَارِ، وَلَا لِرِيحِ
فَبِيحٍ بَلْ بِنَشَاطٍ، وَلَا كَمَنْ يَسْوُدُ عَلَى الْأَنْصِبَةِ، بَلْ صَائِرِينَ
أَمْثَلَةً لِلرِّعِيَّةِ. وَمَتَى ظَهَرَ رَبِّيسُ الرُّعَاةِ تَتَأَلَوْنَ إِكْلِيلَ الْمَجْدِ
الَّذِي لَا يَبْلَى» (١بطرس ٥: ١-٤).

يبدو من كلمات بطرس أنه يُذَكِّر بما قاله يسوع له بعد القيامة:
«ارْعَ خِرَافِي» وكذلك «ارْعَ غَنَمِي» (يوحنا ٢١: ١٥، ١٦).

ماذا عن الوظائف التي أعطاهَا يسوع كمواهب لكنيستته؟ يسرد بولس قائمة تتكون من الرسل، والأنبياء، والمبشرين، ثم «الرعاة والمعلمين» (أفسس ٤: ١١). وتوضَّح قواعد اللغة اليونانية أن الراعي والمعلم مجتمعان معاً لوصف وظيفة واحدة أو دور واحد. إذن، رعاة الكنائس هم أيضاً معلِّموها. وكما رأينا فيما سبق، يُعْتَبَر التعليم المهمة الجوهرية في وظيفة الشيخ.

حقيقة الأمر

قال لي صديق، وهو شيخٌ علمانيٌّ، ذات مرة: "من أصعب الأشياء التي تتعلق بخدمتي كشيخ هو أن أصدِّق أنني راعٍ حقيقي". لكن لا يمكن أن يكون الكتاب المقدس أوضح من ذلك. إن كنتَ شيخاً في كنيستك، فأنت راعٍ حقيقي، تماماً مثل الراعي المتخصص الذي يتقاضى أجراً.

ربما لا تزال لديك شكوك. ألا توجد اختلافات بين الرجال "المتخصصين" الذين يخدمون كرعاة يتقاضون أجراً والأشخاص "العاديين" الذين يعملون في وظائف ومِهَن أخرى ولكنهم متطوعون للخدمة كشيوخ؟ نعم، توجد اختلافات. على سبيل المثال، الرعاة الذين يتقاضون أجراً غالباً ما يكونون حاصلين على شهادة أكاديمية رسمية في التعليم اللاهوتي، ولديهم المزيد من الوقت خلال الأسبوع للخدمة، وبالتالي يتمتَّعون بخبرة أكبر في مجال الرعاية، والخدمة في الكنيسة،

والتعليم. ومن المحتمل أيضًا، مع أن الحال ليس بالضرورة هكذا دائماً، أن يتمتع الرعاة الذين يتقاضون أجرًا أو مكافأة بمواهب أقوى في الخدمة الرعوية أو الوعظ، وهذا ما يجعل الكنائس توظفهم ليعملوا بدوام كامل.

لكن كون الراعي المتخصص الذي يتقاضى راتبًا لديه متسع من الوقت، أو تعليم، أو مواهب، أكثر من غيره، لا يعني منطقيًا (ولا كتابيًا) أن الشيخ العلماني أقل بأي شكل من الأشكال من الراعي المتخصص. إن مكافحي الحرائق المُتطوِّعين يواجهون النيرانَ نفسها مثل مكافحي الحرائق الذين يتقاضون راتبًا. كما أن الشيوخ المتطوعين يواجهون تحديات الرعاية نفسها مثل الرعاة المتخصصين. وينبغي أن يُظهرَ الشيوخُ العلمانيُّون احترامًا للرعاة المتخصصين باعتبارهم "المتقدمين بين أقرانهم"^٦، لكن الشيوخ العلمانيين مساوون لهم أيضًا.

نموذجٌ حديثٌ ومختلفٌ

على ضوء ما سبق، إن أردنا أن نُلخِّصَ الوصفَ الوظيفي للشيخ، يمكننا أن نقول ببساطة: «ارْعَ غنمي». إن لم تتذكَّرَ إلا شيئاً واحداً من هذا الكتاب، فليكن هو الشيوخ رعاة، ودورهم الرئيسي هو رعاية

٦- لمناقشة مفيدة بشأن هذا المفهوم، انظر:

Alexander Strauch, *Biblical Eldership: An Urgent Call to Restore Biblical Church Leadership* (Littleton, CO: Lewis and Roth, 1995), 45-50.

تفوحُ منهم رائحةُ الغنمِ

أعضاء الكنيسة كما يرى الرعاة خرافهم. وبعبارة أكثر دقة، الشيوخ هم رعاة تحت قيادة رئيس الرعاة؛ إذ يخدمون الراعي الصالح من خلال قيادتهم لخرافه.

إذن، ماذا تتضمن عملية "الرعاية"؟ وكيف تبدو عملياً؟ ستقصر الفصول التالية الأبعاد المختلفة للرعاية. وسنتحدث عن أشياء، مثل: التعليم، والقيادة، والصلاة.

لكن، قبل أن نتناول "دليل العمل" لمهمة الرعاية، نحتاج استكشاف اثنين من الآثار الشاملة لنموذج الشيخ الذي يؤدي دور الراعي. يمكن حقاً أن يؤدي استيعاب فكرة أن الشيوخ هم رعاة، وأنهم ليسوا مجرد أعضاء في مجلس الأمناء بمنظمة لا تهدف إلى الربح، إلى حدوث تغيير جذري في خدمة الشيوخ في كنائسنا بطريقتين رئيسيتين على الأقل.

تفوحُ منهم رائحةُ الخراف

يتمثل التأثير الجذري الأول لنموذج الشيخ الذي يقوم بدور الراعي في ضرورة دخول الشيوخ في علاقات مع أعضاء الكنيسة.

توقّف للحظة وتخيل راعي خرافٍ فعلي. لعلك رأيت واحداً يعمل في الريف، سواء شخصياً أو في أحد البرامج التلفزيونية. وربما لم تَرَ أحدهم قط، لكنك قرأت ما يكفي عن الرعاة في الكتاب المقدس، مما

يُمْكِنُكَ مِنْ أَنْ تَرَسِّمَ صُورَةً ذَهْنِيَّةً لِلرَّاعِي. مَا الَّذِي تَرَاهُ؟ هَلْ تَرَى مُزَارِعًا يَقُودُ قُطْيَعَهُ عِبرَ المَرَاعِي الْخَصْبَةِ الْخَضِرَاءِ؟ أَوْ لَعَلَّكَ تَتَخَيَّلُ رَاعِيًا يَرْتَدِي ثَوْبًا بَدَوِيًّا، وَيُمْسِكُ فِي يَدِهِ عَصًا ذَاتَ رَأْسٍ مَعْقُوفٍ يُوَجِّهُ بِهَا الْخَرَّافَ لِلدَّخُولِ إِلَى الْحَظِيرَةِ الْمُحَاطَةِ بِسُورٍ مِنَ الْحِجَارَةِ. وَرَبَّمَا تُرَدِّدُ (مزمور ٢٣) وَتَتَخَيَّلُ ذَلِكَ الرَّاعِي الَّذِي يَجْعَلُ خَرَّافَهُ تَرْبِضَ فِي مَرَاعٍ خَضِرَاءٍ وَتَشْرَبُ مِنْ مِيَاهٍ سَاكِنَةٍ.

أَيًّا كَانَ مَا تَخَيَّلْنَاهُ، تَشْتَرِكُ صُورُنَا الذَّهْنِيَّةُ الَّتِي تَخَيَّلْنَاهَا فِي سِمَةٍ وَاحِدَةٍ عَلَى الْأَقْل. فِي كُلِّ تِلْكَ الصُّوَرِ، يَظْهَرُ الرَّاعِي وَسَطَ خَرَّافِهِ. وَلَيْسَ فِي مَكَانٍ مَا بَعِيدٍ؛ بَلْ يَسِيرُ وَسَطَ خَرَّافِهِ، يَلْمَسُهُمْ وَيَتَحَدَّثُ إِلَيْهِمْ. كَمَا يَعْرِفُهُمْ لِأَنَّهُ يَعِيشُ مَعَهُمْ. وَنَتِيجَةً لَذَلِكَ تَفُوحُ مِنْهُ رَائِحَةُ الْغَنَمِ.

رَبَّمَا عَلَيْكَ بَدَلًا مِنْ تَخَيُّلِ رَاعِي خَرَّافٍ فَعَلِيٍّ، أَنْ تَتَفَكَّرَ بِبَسَاطَةٍ فِي يَسُوعَ. نَجْدُ فِي الْأَنْجِيلِ يَسُوعَ دَائِمًا بَيْنَ النَّاسِ. وَفِيمَا عَدَا تِلْكَ الْفَتَرَاتِ الْخَاصَّةِ الَّتِي كَانَ يَقْضِيهَا فِي الصَّلَاةِ مُنْفَرِدًا، يَبْدُو أَنَّ يَسُوعَ كَانَ يَقْضِي وَقْتَهُ كُلَّهُ مَعَ تَلَامِيذِهِ، بِالإِضَافَةِ إِلَى الْجُمُوعِ؛ فَقَدْ كَانَ أَيْنَمَا ذَهَبَ يَلْمَسُ النَّاسَ، وَيَعْلَمُهُمْ، وَيُدْرِئُهُمْ. لَمْ يَبْذُلِ الرَّاعِي الصَّالِحَ نَفْسَهُ فَقَطْ عَنِ الْخَرَّافِ، بَلْ قَضَى حَيَاتَهُ أَيْضًا مَعَهُمْ.

مِثْلَمَا يَعِيشُ الرَّاعِي الْحَرْفِيُّ مَعَ رَعِيَّتِهِ وَيَعْرِفُ خَرَّافَهُ، وَكَمَا أَنَّهُمْ يَسُوعَ فِي بِنَاءِ عِلَاقَاتٍ مَعَ تَلَامِيذِهِ، هَكَذَا يَشَارِكُ الشُّيُوخَ حَيَاتَهُمْ مَعَ

أعضاء الكنيسة. إنهم يرون أن الناس هم خدمتهم. ستغطي الفصول التالية عناصر متنوعةً لوظيفة الشيخ، وكلها تفترض أن الشيوخ يعيشون في علاقاتٍ قريبةٍ من إخوتهم وأخواتهم.

لنأخذ مثالاً واحداً الآن هو حُسن الضيافة. كما رأينا في الفصل السابق، فإن كلتا القائمتين اللتين تدرجان مؤهلات الأسقف تشترطان على الرجل الذي يسعى لشغل المنصب أن يكون مضيفاً للغرباء (١ تيموثاوس ٣: ٢؛ تيطس ١: ٨). لماذا كل هذا التشديد على حُسن الضيافة؟ لا يكشف حُسن الضيافة عن قلب كريم واتجاه قلب الخادم فحسب، بل يظهر أيضاً أن الطامح في منصب الأسقف ينبغي أن يكون مع الناس وبيحث عن طرقٍ للترحيب بهم في حياته. على الأرجح، سيرغبُ الرجلُ المضيفُ أن يكون دائماً بين الناس إن عَيَّنَتْهُ الكنيسة في منصب الشيخ.

بالمقارنة، لا ينبغي للأساقفة الذين يعملون بنموذج الشيخ كعضو في مجلس الأمناء أن يكونوا وسط الناس، إذ يمكنهم حضور الاجتماعات الشهرية، والمشاركة في مناقشات مجلس الإدارة، والإدلاء بأصواتهم، ومن ثم الذهاب لبيوتهم مع إحساس بأنهم قد أنجزوا واجباتهم. وعندما يسود هذا النموذج على الشيوخ لن يُتعبوا أنفسهم ويخوضوا في صراع مع ما يجب أن يُقال لعضو الكنيسة المحبَط لأنه عاطلٌ عن العمل منذ أكثر من سنة، ولا مع أخٍ يكافح إغواء الرجوع إلى تعاطي الهيروين،

ولا مع أخت تورطت في علاقة مواعدة مع رجل غير مؤمن، ولا ترى أية مشكلة في ذلك. فإنهم يظنون: "ألم نعين راعياً ليتصدى لمثل هذه الفوضى؟!"

ربما تكون حقاً قد دعوت راعياً وفي ذهنك أنه سيتولى هذه المسؤوليات. أما إن كنت شيخاً علمانياً، فإنه قد حان الوقت لتشمرَ عن ساعدك وتخوضَ معارك الرعية جنباً إلى جنب مع فريق العمل الذي يتقاضى أجراً وتقدم بنفسك خدمة رعيةً عمليةً وصادقة من القلب.

لقد عيّنت الشخصَ غيرَ المناسبِ للوظيفة!

هل يبدو هذا النوع من العمل مع الناس مثيراً للمخاوف؟

ربما تعتقد: "أنك لست جيداً في العمل مع الناس. وأن الأفضل لك العمل مع الأرقام أو الحاسبات أو الأجهزة الكهربائية. وأنك شخصٌ انطوائيٌ وخضوعك لاختبار للشخصية أثبت هذا. وبصراحة أنت شخصٌ غير تقليدي إلى حد كبير".

ليس عليك أن تكونَ منفتحاً أو منبسّطاً كلياً لتتواصل مع أعضاء كنيستك. أنتَ فقط بحاجة إلى أن تحبهم. بادِرْ أن تبدأ حواراً قبل بداية العبادة في الكنيسة مع تلك الأرملة المُسنّة الهادئة، أو ادعُ على العشاء هذين الزوجين المتصارعين، أو ابدأ دراسة للكتاب المقدس، وادعُ

تَفُوحُ مِنْهُمْ رَائِحَةُ الْغَنَمِ

بعض الأعضاء الأقل ارتباطاً بالكنيسة. يعرفُ الناسُ المحبةَ والاهتمامَ الحقيقيَّينَ عندما يرونهما، حتى لو أتيا بطريقة متحفظةٍ وغريبةٍ بعض الشيء. فالمحبةُ تتخطى كلَّ الحواجز.

ربما لديك سببٌ آخر للتردد فيما يتعلق بالخدمة الرعوية بين أعضاء الكنيسة. ربما تخشى أن تطغى عليك مشكلات الناس وتُزجِمُك، أو أن تجعل الأمور تزداد سوءاً بمحاولات حمقاء لتقديم المساعدة. كما أنك لم تحصل على شهادة أكاديمية في المشورة أو تعليم في كلية لاهوت. مَنْ تظن نفسك حتى تؤدي دور الراعي؟

لأكونَ واضحاً، أنا لا أقترحُ أن كل من يرغب في أن يكون شيخاً هو بالتالي مؤهَّلٌ. ما أقوله هو أن الرجال المؤهلين ينبغي ألا يعلنوا عدم أهليتهم على نحو غير ضروري بسبب خوفهم من عدم استطاعتهم حل الصراعات التي يمر بها الناس.

إليك بعض الأفكار السريعة حول رعاية الناس الذين يمرون بمشكلات كبيرة:

- عيّن الله الشيوخَ في كلمته وهو يعرف ما يفعله.
- يستطيع يسوع أن يعمل من خلالك؟
- الرعايةُ لا تتعلق في المقام الأول بحل مشكلات الناس (للمزيد حول هذا الموضوع انظر أدناه).

- من المرجَّح أن لديك المزيد من الحكمة الكتابية التي تشارك بها أكثر مما تظن.
- يُمكنك دائماً أن تطلب المساعدة، من يسوع والآخرين.

إجراء عملية الانتقال ببطء

منذ نحو ثلاثين عاماً، دعت الكنيسة المعمدانية التي أخدم بها راعياً مَشِيخِيّاً ليكون كبير الرعاة. كان هذا الراعي يتمتع بموهبة الوعظ التفسيرية، وقد التَفَّ حوله جمهورٌ غفيرٌ ليسمعوه، كما كان له تأثيرٌ كبيرٌ في حياة العديد من الناس. غير أنه فَعَلَ شيئاً آخر استمر تأثيره الإيجابي في كنيستنا لسنوات بعد رحيله: حيث قاد جماعة المؤمنين في الكنيسة لتَبْنِي نموذجَ الشيخ في إدارة الكنيسة.

في الوقت الذي جُنْتُ فيه إلى الكنيسة، كان فيها بالفعل شيوخٌ لأكثر من عشر سنين. لكن بعدما درسنا وظيفة الشيخ من المنظور الكتابي بتعمُّقٍ أكثر، بدا واضحاً لنا أننا، نحن الشيوخ نفتقر إلى التوازن. فقد كُنَّا نصْرِفُ معظمَ طاقتنا في التَصَرُّفِ كأعضاء مجلس أمناء في مؤسسة، ونُولِي اهتماماً أقل بكثير لرعاية الشعب؛ لذلك بدأنا ببطء نعطي المزيد من الاهتمام إلى الرعاية. ما زلنا نَعْقِدُ اجتماعاتنا الشهرية، وما زلنا نؤدي تلك المهام التي تشبه ما يحدث في مجلس الأمناء. أقول مُجَدِّداً، يُعَدُّ ذلك مكوّناً من مكوّنات دور الشيخ وحياة الكنيسة. لكننا كنا نسعى أيضاً لاستثمار المزيد من الوقت مع أعضاء الكنيسة.

تفوحُ منهم رائحةُ الغنمِ

على سبيل المثال، منذ أكثر من عام، قسّمنا بين الشيوخ قائمة أعضاء الكنيسة الآخذة في الازدياد، ثم وضعنا أماناً هدفاً بأن ننصّل بكل عضو في القائمة مرةً واحدةً على الأقل خلال السنة. كانت خطوة صغيرة لتحسين العلاقات. ومع أنها خطوة صغيرة، فقد حققت ثماراً فوريةً. لم يتجاوب الأعضاء بالتعبير عن تقديرهم فقط، بل صاروا أيضاً أكثر استعداداً للانفتاح على الشيوخ. كان هذا النوع من الخدمة الرعوية يمثل تحدياً للشيوخ ولكنه كان مثمراً جداً أيضاً. فضلاً عن ذلك، شعرتُ براحةٍ لأنّ معي فريقاً عريضاً يساعدني على حمل عبء الاعتناء بجماعة المؤمنين المتزايدة.

الطريقُ أماناً لا يزال طويلاً، لكنّ شيوخَ كنيسَتنا تفوحُ منهم رائحة الخراف على نحوٍ متزايدٍ.

ما الهدف؟

تلخيصاً لما سبق: الشيوخ رعاة. تُعدُّ الرعايةُ صورةً استعاريةً تتضمّنُ معاني مهمةً لخدمة الشيوخ. أولاً، توحى بأنّ عملَ الشَّيْخِ يحدثُ، في المقام الأول، من خلال علاقاتٍ مع أعضاء الكنيسة. تتعلق الخدمة التي يؤديها الشَّيْخُ بالناس أكثر ممّا تتعلق بالبرامج.

غير أن صورة الرعاية لا تخبرنا فقط أين ينبغي أن يوجّه عمل الشَّيْخِ، أعني، أن يوجّه في العلاقات، لكنها تخبرنا أيضاً لماذا. لماذا

ينبغي على الشيوخ أن يختلطوا بأعضاء الكنيسة ويشاركونهم حياتهم؟
ما الذي يحاولون إنجازه؟ هل يقتصر الهدف على خلق جوٍّ من الألفة
والود العائلي في الكنيسة؟

إليك تطبيق آخر من التطبيقات الجذرية لنموذج الرعاية: يخدم
الشيوخ بهدف تنمية أعضاء الكنيسة نحو النضوج في الحياة
المسيحية.

تخيل الراعي مرةً أخرى. تصوّرهُ يؤدي مهامهُ اليومية وسط الخراف:
يُطعمُها، أو يقودها عبر الوادي، أو يحميها من الحيوانات المفترسة،
أو يُداوي جراحها، أو يقتني أثرَ الضَّالِّ منها. لماذا يفعل الراعي هذه
الأُمور؟ ما الغرض أو الهدفُ؟ إنها خراف ناضجة. يتعب الراعي يومًا
تلو الآخر لكي يُنتجَ خرافًا تنعمُ بالصَّحَّةِ، ومكتملة النمو، وقادرة على
الإنتاج.

أليس لدى الشيوخ هدفٌ مشابهٌ؟ إن الشيوخ يعملون جاهدين في
علاقات مع أعضاء الكنيسة لمساعدتهم على النمو في المسيح يسوع.
والأساقفة يُعلِّمون، ويُصلُّون، ويخدمون حتى يَعْرِفَ إِخْوَتُهُمْ وَأَخَوَاتُهُمْ
يسوعَ على نحو أكثر قربًا وعمقًا، ويطيعونه بأمانة، ويعكسون صفاته
الشخصية بأكثر وضوحًا، سواء كأفراد أو كعائلة الكنيسة. فضلًا عن
ذلك، يتضاعف المؤمنون الناضجون الأصحاء روحياً إذ يكرزون
برسالة الإنجيل لآخرين ويساعدون آخرين على النمو في المسيح.

ذكر بولس صراحةً أن النضج هو هدف الخدمة الرعوية:

«وَهُوَ أَعْطَى الْبَعْضَ أَنْ يَكُونُوا رُسُلًا، وَالْبَعْضَ أَنْبِيَاءَ،
وَالْبَعْضَ مُبَشِّرِينَ، وَالْبَعْضَ رِعَاةً وَمُعَلِّمِينَ، لِأَجْلِ تَكْمِيلِ
الْقَدِيسِينَ لِعَمَلِ الْخِدْمَةِ، لِثَبَاتِ جَسَدِ الْمَسِيحِ، إِلَى أَنْ نَنْتَهِيَ
جَمِيعُنَا إِلَى وَحْدَانِيَّةِ الْإِيمَانِ وَمَعْرِفَةِ ابْنِ اللَّهِ. إِلَى إِنْسَانٍ كَامِلٍ.
إِلَى قِيَاسِ قَامَةِ مِلءِ الْمَسِيحِ» (أفسس ٤ : ١١-١٣).

عندما يؤدي الشيوخ واجباتهم جيدًا، لا يعود المؤمنون بعد
«.. أطفالًا»، بل ينمون «فِي كُلِّ شَيْءٍ إِلَى ذَاكَ الَّذِي هُوَ الرَّأْسُ:
الْمَسِيحُ» (العددان ١٤، ١٥). ينبغي على الشيوخ أن يبذلوا قصارى
جهدهم ليقولوا مع بولس: «الَّذِي نُنَادِي بِهِ مُنْذِرِينَ كُلِّ إِنْسَانٍ، وَمُعَلِّمِينَ
كُلِّ إِنْسَانٍ، بِكُلِّ حِكْمَةٍ، لِكَيْ نُحْضِرَ كُلَّ إِنْسَانٍ كَامِلًا فِي الْمَسِيحِ
يَسُوعَ» (كولوسي ١ : ٢٨).

إدارة الماكينة

قارن عقلية الرعاية هذه مرةً أخرى، بالشيخ الذي يقوم بوظيفته على
طريقة عضو مجلس الأمناء. حين يرى الشيوخ أنفسهم في الأساس
على أنهم أعضاء مجلس أمناء، سيظنون أن هدفهم هو إدارة الجوانب
المختلفة للكنيسة كمؤسسة. وسيكون معنى «النجاح»، على الأرجح في

رأيهم، هو الحرص على أن تعكس الموازنة العامة الوضع المالي الجيد للمؤسسة، والحفاظ على المرافق والمباني، ورعاية أنشطة وبرامج عالية الجودة يحضرها عدد كبير من الناس. يميل الشيوخ من نوع أعضاء مجلس الأمناء إلى التشديد على إدارة الماكينة أكثر منه إلى تنمية أعضاء الكنيسة وزيادة نضوجهم.

ذكرت سابقاً أن البنية التحتية المؤسسية للكنيسة مثل: ميزانيتها، وعملياتها، وبرامجها، ومرافقها، وموظفيها، لها أهمية بالفعل. إن الإدارة الفعالة هي خدمة وموهبة روحية نافعة في حد ذاتها لجسد المسيح ككل، كما أنها تتيح للشيوخ أن يتفرغوا للرعاية. والجدير بالذكر أن فكرة صغيرة عن التنظيم مكنت موسى في العهد القديم والرسول في العهد الجديد من تحقيق دعوتهم، وكانت النتيجة بركة لشعب الله (خروج ١٨: ١٣-٢٧؛ أعمال ٦: ١-٧). يتحمل الشيوخ مسؤولية عامة تتعلق بالإشراف على البنية التحتية التنظيمية للكنيسة بصفتهم رعاة يهتمون بالعلاقة مع الأعضاء.

فيما يلي الفكرة الرئيسية: يجب على المؤسسة دائماً أن تخدم أعضاءها. فالبرامج والعمليات في أفضل حالاتها لا تقدم سوى أدوات لتحقيق مهمة أن يساعد الأعضاء بعضهم بعضاً على النمو والنضوج في المسيح.

تُعَلِّمُنِي خِبْرَتِي أَنَّ الشُّيُوخَ يَجْذِبُونَ بِسَهُولَةٍ إِلَى الْمَاكِينَةِ بَدَلًا مِنَ الْأَعْضَاءِ، وَإِلَى التَّعْرِيشَةِ أَكْثَرَ مِنَ الْكِرْمَةِ^٧، فَيَنْخَرِطُونَ فِي مَنَاقِشَاتٍ أَكْثَرَ وَيَبْذِلُونَ جَهْدًا أَكْبَرَ لِنَتْظِيمِ اللُّوجِسْتِيَّاتِ (الإِمْدَادَاتِ، وَالتَّخْطِيطِ، وَالتَّنْفِيزِ) بَدَلًا مِنَ الْجَهْدِ فِي تَنْمِيَةِ الْأَشْخَاصِ. لَسْتُ مُتَأكَّدًا تَمَامًا مِنْ سَبَبِ حَدُوثِ ذَلِكَ؟ رِمَا لِأَنَّ الْبَرَامِجَ وَالسِّيَاسَاتِ أُمُورَ قَابِلَةَ لِلِإِدَارَةِ وَيُمْكِنُ تَخْطِيطُهَا وَتَنْفِيزُهَا، بَيْنَمَا تَنْطَوِي خِدْمَةُ مُسَاعَدَةِ النَّاسِ لِلنَّمُو فِي الْمَسِيحِ عَلَى الْفَوْضَى، وَلَيْسَتْ شَيْئًا مُنْتَظَمًا يُمْكِنُ التَّنَبُّؤُ بِهِ، كَمَا أَنَّهَا تَنْتَسِمُ بِالْبَطْءِ. فِي الْوَاقِعِ، لَنْ تَتَحَقَّقَ مَهْمَةٌ رِعَايَةُ النَّاسِ أَبَدًا فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ وَلَا نَسْتَطِيعُ التَّحَكُّمَ بِهَا.

يَجِبُ عَلَى الشُّيُوخِ مَقَاوِمَةُ الْإِنْجَذَابِ نَحْوَ أَنْ يَكُونُوا مُجَرَّدَ مَدِيرَيْنِ لِمُؤَسَّسَةٍ، وَبَدَلًا مِنْ ذَلِكَ، عَلَيْهِمْ أَنْ يَحَافِظُوا عَلَى تَوْجِيهِ الْكَنِيسَةِ كَجَمَاعَةٍ مُؤْمِنِينَ نَحْوِ النُّضُوجِ فِي الْمَسِيحِ. وَلِلْمُسَاعَدَةِ فِي تَحْقِيقِ ذَلِكَ، أَقْتَرِحُ عَلَيْكَ أَنْ تَطْرَحَ لِلْمَنَاقِشَةِ فِي اجْتِمَاعِ الشُّيُوخِ الْقَادِمِ سَوَآلًا أَوْ اثْنَيْنِ مِنْ نَوْعِ الْأَسْئَلَةِ التَّالِيَةِ عَلَى جَدُولِ الْأَعْمَالِ:

- مَا الْوَسَائِلُ الَّتِي تُسَاعِدُ كَنِيسَتَنَا أَنْ تَعْكَسَ يَسُوعَ أَكْثَرَ؟ وَمَا الْوَسَائِلُ الَّتِي لَا تُسَاعِدُنَا أَنْ نَعْكَسَ يَسُوعَ؟
- هَلْ تَوْجِدُ صَرَاعَاتٍ فِي الْكَنِيسَةِ لَمْ تُحَلَّ؟ هَلْ نَسْتَطِيعُ نَحْنُ الشُّيُوخُ تَسْيِيرَ عَمَلِيَةِ الْمَصَالِحَةِ؟

7. See Colin Marshall and Tony Payne, *The Trellis and the Vine: The Ministry Mind-Shift That Changes Everything* (Kingsford, NSW, Australia: Mattias Media, 2009).

- هل نعرف أي أعضاء انحرفوا إلى خطايا صارخة، أو حتى ابتعدوا عن الشركة بانتظام في الكنيسة؟ مَنْ الذي يتواصل معهم؟
- ما الأسفار الكتابية أو العقائد اللاهوتية التي يحتاج أعضاء كنيستنا إلى دراستها خلال السنة القادمة؟ ولماذا؟
- هل يعرف أعضاء كنيستنا كيفية الكرازة للآخرين وتلمذتهم؟ هل يقومون بذلك؟
- هل نحن كنيسة مُصَلِّية؟

تسليم الرِّداء

عندما انطلق يسوع إلى السماء، أعطى أتباعه هذه التعليمات الأخيرة:

«فَاذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الْأُمَمِ وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الْآبِ وَالابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ. وَعَلِّمُوهُمْ أَنْ يَحْفَظُوا جَمِيعَ مَا أَوْصَيْتُكُمْ بِهِ»
(متى ٢٨: ١٩، ٢٠).

أوصى يسوع تلاميذه بأن يعملوا ما ظلَّ هو يعملهم معهم طوال السنوات القليلة الماضية. فقد جَمَعَ تلاميذه، وأفرزهم، وجعلهم ينمون

تفوحُ منهم رائحةُ الغنَمِ

من خلال تعليمهم وصاياهم؛ فالراعي الصالح لا يبذل حياته من أجل هؤلاء الخراف فقط، بل يعيش بينهم ويغيّرهم أيضًا. صَنَعَ يسوعُ تلاميذًا: وأحبه الناس، وأطاعوه، وأخبروا آخرين عنه.

الآن نرى يسوع يرسل هؤلاء التلاميذ ليُتلمذوا آخرين. وبعد ذلك، أخذ الرسلُ رداءَ الرعاية من يسوع، ودعوا المزيد من أتباع يسوع، وضمُّوهم إلى كنائس، وساعدوهم على النمو من خلال تعليمهم.

بعدما أسَّسَ الرسلُ تلك الكنائس المحلية المكوّنة من تلاميذ، سلم التلاميذُ بدورهم رداءَ الخدمة الرعوية القائمة على العلاقات مع الناس وتهدف إلى إنصاجهم. لمن سلّموا هذا الرداء؟

إلى شيوخِ الكنيسة!

اِخْدُمِ الْكَلِمَةَ

أظنُّ أن الشيوخ كانوا في حالة صدمة.

اجتمعنا في مؤتمر الشيوخ السنوي لمناقشة أهدافنا للسنة القادمة، ولمراجعة الوصف الوظيفي الكتابي لمنصب الأساقفة. ولمَّا أثيرَ موضوعُ التعليم، عرضتُ أمام الحضور هذا التحدي: "أريد في وقت ما في هذه السنة أن يلقي اثنان من الشيوخ عظاتٍ أيام الأحد صباحًا".

مع أن بعض الشيوخ العلمانيين يعظون في بعض الكنائس، لكن كنيستنا قد خصَّصت دائمًا عظات الأحد صباحًا للرعاة الذين يتقاضون أجرًا. لم تكن الكنيسة تلجأ للوعاظ العلمانيين إلا في الحالات الطارئة. لذلك لم يكن من المفاجئ أن يتجاوب الشيوخُ مع التحدي الذي عرضته أمامهم باندھاش، وعيون جاحظة، مع ضحكاتٍ مكتومة مبطنَّة بالتوتر.

غير أنني لم أحاول أن أكون غير معقولٍ. كلُّ ما في الأمر أنني أردتُ أن أسترعي انتباههم إلى دعوتهم الكتابية لتعليم كلمة الله. إذا رعى الشيوخُ رعيَّة يسوع، ستكون أولى مهامهم الأساسية إطعام

نفوس أعضاء الكنيسة من كلمة الله؛ فمن دون طعام، ستضعف الخراف، وتموت، ودون تغذية منتظمة من خلال التعليم الكتابي، سيجوع المؤمنون روحياً.

يُعد التعليم، ربما أكثر من أي دور آخر، السمة التي تُميزُ الشيوخ في الكنيسة المحلية. رأينا في الفصل الأول أن الشيوخ المؤهلين لا بد أن يكونوا قادرين على التعليم (١ تيموثاوس ٣: ٢). ومن الجدير بالملاحظة أن مؤهلات الشيوخ والشمامسة التي سردها بولس في (١ تيموثاوس ٣) في قائمتين مُتَمَثِّلَةً باستثناء فرقٍ واحدٍ واضح جداً: يجب على الشيوخ أن يكونوا قادرين على تعليم الكلمة، في حين لم يكن هذا الشرط مطلوباً من الشمامسة. يحتاج الشيوخ والشمامسة على حدٍّ سواء إلى التشبُّه بالمسيح، لكن الشيوخ وحدهم يجب أن يتميزوا بمهارة شرح الكتاب المقدس وتطبيقه.

تأملنا في الفصل الثاني حقيقة أن الشيوخ رعاة. عندما سرد بولس قائمةً بالوظائف المختلفة التي وهبها يسوع للكنيسة، دَمَجَ وظيفة الرعاية ووظيفة التعليم: «وَهُوَ أَعْطَى الْبَعْضَ أَنْ يَكُونُوا رُسلًا، وَالْبَعْضَ أَنْبِيَاءَ، وَالْبَعْضَ مُبَشِّرِينَ، وَالْبَعْضَ رُعاةً وَمُعَلِّمِينَ» (أفسس ٤: ١١).

لاحظ هنا أمرين. أولاً: جميع أصحاب هذه الوظائف يوصلون كلمة الله. كما أن الرسل شهودٌ عيان يعلنون كلمات يسوع وأعماله، ويدوّنونها. ينطق الأنبياء بكلماتٍ مباشرةٍ من الرب، ويذيعُ المبشرون

اِخْذُمِ الْكَلِمَةَ

بشارة الإنجيل. وعلى المنوال نفسه، يُعَلِّمُ الرعاة الكنائس المحلية. وهذا يقودنا إلى الملاحظة الثانية. إن الكلمتين «رعاة ومعلمين»، في الآية ١١ متصاحبتان. في اللغة اليونانية، تَحْكُمُ أداة تعريف واحدة كَلَامَ الاسْمَيْنِ، مما يشير إلى أن الاسمين يصف الواحد منهما الآخر. وهكذا، فإن عبارة «رعاة ومعلمين» لا تشير إلى وظيفتين بل إلى وظيفة واحدة، أي: وظيفة «الراعي المُعَلِّم».

الله يحكم بكلمته

لا ينبغي أن نتفاجأ من حقيقة أن الله يريد من الشيوخ أن يُعَلِّمُوا شعبه. إن الله يحكم شعبه بكلمته؛ لذلك، فقد استأمن الله قادة شعبه دوماً على توصيل كلمته.

قطع الله وعوده لإبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، الذين قادوا بدورهم عشائهم للوثوق بتلك المواعيد وإطاعة الله.

كما أعطى الله كلام العهد لموسى، الذي بدوره علّمه لشعب إسرائيل (تثنية ٤: ١). وقد أمر موسى آباء شعب إسرائيل بأن يرعوا أبناءهم ويعلموهم الشريعة (تثنية ٤: ٩؛ ٦: ٤-٢٥). وقد تكرر هذا الأمر للآباء المؤمنين في الكنيسة (أفسس ٦: ٤). لم يقدم الكهنة في إسرائيل ذبائح فحسب، بل علّموا الشعب أيضاً فرائض الله (لاويين ١٠: ١٠، ١١؛ أخبار الأيام الثاني ١٥: ٣؛ ١٧: ٧-٩).

وقد أُرشدَ اللهُ شعبَه وقومَهُم بإرسال الأنبياء الذين أعلنوا: «هكذا يقول الرب». وحتى مَلِكِ إِسْرَائِيل، كان يُتَوَقَّعُ منه أن يكون دارسًا جَدِيدًا لشرِيعَةِ اللهِ (تثنية ١٧: ١٨-٢٠).

ثم كان يسوع، راعينا الصالح، أولَ الوعاظِ المقتدرين وأهمهم. عندما رأى يسوعُ الجموعَ «تَحَنَّنَ عَلَيْهِمْ إِذْ كَانُوا كَخِرَافٍ لَا رَاعِيَ لَهَا، فَأَبْنَدًا يُعَلِّمُهُمْ كَثِيرًا» (مرقس ٦: ٣٤). تَزَخَّرَ الأناجيلُ الأربعةُ بِأَمْثَالِ يسوع، وتفسيراته، ومواعظه، وحواراته. يسوع هو الكلمة المتجسّد (يوحنا ١: ١، ١٤)، الذي تَمَّ كُلُّ كلامِ العهد القديم (متى ٥: ١٧؛ لوقا ٢٤: ٢٥-٢٧، ٤٤-٤٧)، وأفاض بكلمة الله طوال فترة خدمته العامة على الأرض.

بعد قيامة يسوع، نقل تعليمه وخدمته الكرازية للرسل (متى ٢٨: ١٩، ٢٠). وكما تمتلئ الأناجيلُ بتعليم يسوع، هكذا يزخر سفرُ أعمال الرسل والرسائل بتعليم الرسل. كما تلمذ الرسلُ آخرين من خلال وعظهم وضموا هؤلاء التلاميذ إلى كنائس، وأقاموا شيوخًا لكل كنيسةٍ وعهدوا إليهم بتعليم الرسل (أعمال ١٤: ٢٣).

تَوَقَّفْ للحظة، وتأمّل روعةَ هذا الأمر. يسوع حيٌّ، ويملك في السماء، ويحكم كنيستك. ويمارسُ هذا السلطان المَلَكِي في كنيستك من خلال الكتاب المقدس. ورعاياه يطيعونه اليوم بطاعتهم للكتاب المقدس. لذلك، إن كنتَ شيخًا وتُعلِّمُ كلمة الله بأمانة، فإن يسوع يخدم الكلمة بسيادته على رعاياه من خلال التعليم الذي تقدّمه.

شارك في التعليم

ماذا يعني هذا من الناحية العملية بالنسبة للشيخ؟ ما تأثيرات ذلك على الوصف الوظيفي للشيخ؟ أعتقد أنه يوجد تأثيران. ينبغي أن يكون التأثير الأول واضحاً: يجب على الشيخ أن يشاركوا في خدمة التعليم في الكنيسة. إن كنت شيخاً، فأنت بحاجة إلى الانهماك في تفسير الكتاب المقدس وشرحه.

مع ذلك، كثيراً ما يتجنبُ الشيخُ التعليمَ. وحتى الشيخ المؤهلين القادرين على تعليم كلمة الله يتراجعون عن الفرص التي تُتاح لهم للتعليم. ويحدث هذا لعدة أسباب، الأكثر شيوعاً بينها هو الإحساس بعدم الكفاءة. يقارن الشيخ العلمانيون قدراتهم الطبيعية، وخبراتهم في التعليم والتدريب اللاهوتي، بقدرات الرعاة الذين يتقاضون أجراً، وأحياناً ما يُصابون بالإحباط نتيجةً لذلك. إنهم يظنون: "ما الذي يجعل أعضاء الكنيسة يرغبون في سماع شخص هارٍ مثلي، بينما لديهم وعاظ ومعلمون محترفون ضمن فريق العمل؟" فضلاً عن ذلك، كثيراً ما يعمل الأساقفة العلمانيون لساعات طويلة خارج الكنيسة، وبناء عليه يفنقرون إلى وقت متسع للتحضير للدروس. من ذا الذي يرغب في أن يُطعم الخراف وجبةً غير مكتملة النضج؟

لكن، إذا كنت شيخاً، فأنت مُعلِّمٌ، لذلك لا تدع هذه المخاوف والإحباطات تعيقك عن القيام بخدمة التعليم. وبدلاً من ذلك، تشجّع وتمم دعوتك باستخدام أفضل قدراتك ومواردك.

تشجّع بحقيقة أن التعليم يحدث في مواقع كثيرة متنوعة. إذ لا يقتصر على عظة يوم الأحد صباحًا. يستطيع الشيوخ أن يُطعموا الرعية في اجتماعات كبيرة أو في سياقات شخصية جدًا. يمكنك أن تُعلم الكتاب المقدس لصف مدارس الأحد، أو لمجموعة صغيرة في المنزل، أو في مدرسة صيفية للأطفال، أو لشخص واحد في علاقة مُعلّم بتلميذه. ابحث عن الاحتياج إلى التعليم في أي موقع في الكنيسة وتدخل لتقديم المساعدة.

تتضمّن جماعة المؤمنين في كنيستنا مجموعة صغيرة من الكمبوديين. وفي الفترة ما بين ١٩٨١ و ١٩٨٢، تطوّر بعض أعضاء الكنيسة برعايتهم للقدوم إلى الولايات المتحدة الأمريكية خلال أزمة اللاجئين الكمبوديين. صار العديد من أولئك الكمبوديين مؤمنين وأعضاء في الكنيسة. وأصبحوا يحضرون صفًا لدراسة الكتاب المقدس يوم الأحد باللغة الخميرية وهي اللغة الرسمية لكمبوديا. تأثرت طوال سنين عديدة برؤية شيوخ يُعلّمون ذلك الصف من خلال مترجم فوري؛ فقد أدرك الشيوخ الاحتياج، فعبروا الحاجز الثقافي واللغوي ليطعموا الرعية.

تشجّع أيضًا بحقيقة أن موهبة التعليم تأتي في مجموعة متنوعة من نقاط القوة والمعاملات. إن كنت تفتقر إلى القدرة على إثارة انتباه جمهور كبير من المؤمنين وجعلهم مستغرقين في كلامك لمدة خمس

اِخْدُمِ الْكَلِمَةَ

وأربعين دقيقة، فهذا لا يعني أنك يجب أن تتنازل عن دعوتك لتكون معلماً. توقّف عن المقارنة العقيمة، وفكّر كيف تستخدم المواهب، والخبرات الحياتية، والشخصية التي أنعم الله بها عليك.

كان مايكل، أحد أعضاء كنيستي، يشعر باهتمام كبير بالرجال الذين ظلوا مكسورين لسنوات بسبب عبوديتهم لخطية الإدمان بأنواعه المختلفة. وسبب اهتمامه في الأساس هو أن يسوع قد أنقذه من خطية الإدمان وقوّته. وهكذا، عقّد دراسةً للكتاب المقدس عن الإدمان بأنواعه. لم يستخدم مايكل برنامجاً علاجياً أو منهجاً للشفاء، بل كان يعلم الكتاب المقدس فحسب. لكنّ خبرته في الحياة، وتحننه جعله قادراً على التواصل مع هؤلاء الرجال الذين يصارعون الإدمان، بطريقة مختلفة عن تلك التي أتّبّعها في عظامي المعتادة التي ألقياها كل يوم أحد. لم يكن مايكل واحداً من الشيوخ حتى، لكنّ مثاله يُظهر كيف يستخدم الله خبراتنا الحياتية المتنوعة لتعليم كلمته.

أخيراً، تشجّع من حقيقة أن معلمي الكتاب المقدس يمكن أن يتحسنوا. ينبغي على كل معلم أن يتبع تعليمات بولس لتيموثاوس:

«إِلَى أَنْ أَجِيءَ اعْكُفْ عَلَى الْقِرَاءَةِ وَالْوَعْظِ وَالْعُلْمِ. لَا تُهْمِلِ الْمَوْهَبَةَ الَّتِي فِيكَ، الْمُعْطَاةُ لَكَ بِالنُّبُوَّةِ مَعَ وَضْعِ أَيْدِي الْمَشْيِخَةِ. اهْتَمَّ بِهَذَا. كُنْ فِيهِ، لِكَيْ يَكُونَ تَقْدَمُكَ ظَاهِراً فِي كُلِّ شَيْءٍ» (تيموثاوس ٤: ١٣-١٥).

يدعو الله معلميه لِيُظْهِرُوا تَقَدُّمَهُمْ، وليس كمالهم. لا تقارن نفسك بمعلمين آخرين؛ بل قارن تعليمك بما كان عليه السنة الماضية أو منذ خمس سنوات، واسعَ إلى التحسُّن. نحن نَتَحَسَّنُ حين "نمارس هذه الأشياء" (أي "القراءة، والوعظ، والتعليم")، وعندما "نكون ملتزمين بهم".

لذلك انتهِزِ الفرص لتُعلِّم. ادفع نفسك. إن كنتَ تعرفُ رجالاً مُدْرِبِينَ من أصحاب المعرفة اللاهوتية في كنيستك، اطلب منهم أن ينصحوك بالكتب المفيدة من أجل دعم مَوَاطِنِ الضعف في معرفتك. واطلب من معلمين وشيوخ آخرين أن يستمعوا لدروسك وينصحوك فيها بأرائهم.

إذا سألكَ راعي الكنيسة الذي يعظ عادة يوم الأحد عما إن كنت تريد إلقاء العظة يوم الأحد صباحاً، جازف وقل: «نعم!»

احمِ التعليم

يلوح في الأفق بُعدٌ ثانٍ لجهود الشيخ في مجال التعليم، حيث لا يشتركُ الأسقف في التعليم فقط، بل يجب عليه أيضاً أن يحمي الكنيسة من التعليم الخاطئ. يجب عليه أن يقوم بالدورين الهجومي والدفاعي في ساحة العقيدة: «مُلَازِمًا لِلْكَلِمَةِ الصَّادِقَةِ الَّتِي بِحَسَبِ التَّعْلِيمِ، لِكَيْ يَكُونَ قَادِرًا أَنْ يَعِظَ بِالتَّعْلِيمِ الصَّحِيحِ وَيُؤَيِّخَ الْمُناقِضِينَ» (تيطس ١: ٩).

اِخْذُمِ الْكَلِمَةَ

من عادة الحيوانات المفترسة أن تفترس الخراف، وكما أن الرعاة يَصُدُّون الأسود والذئاب، هكذا الشيوخ، ينبغي عليهم أن يصدوا المعلمين الكذبة. حذر بولس الشيوخ في أفسس قائلاً:

«لَأَنِّي أَعْلَمُ هَذَا: أَنَّهُ بَعْدَ ذَهَابِي سَيَدْخُلُ بَيْنَكُمْ ذَنَابٌ خَاطِفَةٌ لَا تُشْفِقُ عَلَى الرَّعِيَّةِ. وَمِنْكُمْ أَنْتُمْ سَيَقُومُ رِجَالٌ يَتَكَلَّمُونَ بِأُمُورٍ مُلْتَوِيَةٍ لِيَجْتَذِبُوا التَّلَامِيذَ وَرَاءَهُمْ. لِذَلِكَ اسْهَرُوا، مُتَذَكِّرِينَ أَنِّي ثَلَاثَ سِنِينَ لَيْلًا وَنَهَارًا، لَمْ أَقْترَ عَنْ أَنْ أُنْذِرَ بِدُمُوعِ كُلِّ وَاحِدٍ» (أعمال ٢٠: ٢٩-٣١).

لا بد أنه كان لدى بولس تخوف خاص من التعليم الخاطيء في أفسس؛ لأنه في الرسالة إلى كنيسة أفسس شدّد من جديد على أهمية خدمة التعليم الرعوي حتى ينمو المؤمنون ويثبتوا أمام ضغوط التعليم الكاذب وإغراءاته. عندما يقوم التعليم الصحيح بعمله، لن «نَكُونَ فِي مَا بَعْدُ أَطْفَالًا مُضْطَرِبِينَ وَمَحْمُولِينَ بِكُلِّ رِيحٍ تَعْلِيمٍ، بِحِيلَةِ النَّاسِ، بِمَكْرِ إِلَى مَكِيدَةِ الضَّلَالِ» (أفسس ٤: ١٤).

استراتيجيات للاستمرار في السَّهَرِ

تتطلب مقاومة التعليم الكاذب يقظة. يحتاج الشيوخ إلى الانتباه للأشخاص أو للأفكار التي من شأنها أن تُحرِّف الإنجيل أو تُعَوِّج معنى الكتاب المقدس. فيما يلي ثلاث استراتيجيات للاستمرار في السهر حفاظًا على رعيته:

اعرف سياقك

ابدأ بدراسة محيطك الروحي. تعرّف على تلك المعتقدات، والفلسفات، والديانات القائمة في مجتمعك. هل يتواصل شعبك بانتظام مع إحدى الديانات الكبرى؟ هل لإحدى العبادات حضورٌ كبيرٌ في مدينتك؟ تعرّف على التعاليم الأساسية لهذه الجماعات، وخصوصاً حين تتعارض مع الإنجيل والحق الكتابي.

ماذا عن "المذاهب" المختلفة؟ هل نَجَحْتَ تَوَجُّهات مذاهب مثل: الدنيوية، أو الفردية، أو العقلانية، أو النسبية في قَوْلَبَة تفكير الناس في المكان الذي تعيش فيه؟ من المعتاد أن يأتي الذين يحضرون كنيستك بتلك المعتقدات البديلة، ويؤدُّون عملهم في الكنيسة وفقاً لهذه المذاهب، دون حتى أن يدركوا ذلك. احرص على أن تنبّه إلى هذه الرؤى الكونية في تعليمك ومحادثاتك.

كن واعياً خصوصاً لمحاولات تحريف الإنجيل النشطة في الكنائس من حولك، أو حتى في كنيستك. وقد يشمل هذا أشياء كثيرة، مثل: إنجيل الرخاء، أو التوحيد المفتوح^٨، أو اتِّباع حَرْفِيَّة الناموس، أو الليبرالية اللاهوتية. هل تريح الشخصيات الكاريزماتية المحلية أتباعاً جُدد لتعاليم الإنجيل المخفَّف أو المزيف؟ كل هذه التعاليم يمكن أن تضر برعيتك.

٨- التوحيد المفتوح هو الاعتقاد بأن الله لا يسيطر على الكون بطريقة مُحكمة ودقيقة، ولكنه يترك الأمر «مفتوحاً» للبشر لاتخاذ خيارات مهمة (حرية الإرادة) تؤثر في الأحداث التاريخية والمستقبلية. بناءً عليه، الله لا يعرف المستقبل على نحو شامل. (المترجم).

راقِبِ عَمَلِيَّةَ الْعُضُويَّةِ

بينما تعمل مسحاً لأفُقِ منطقة كنيسةك المحلية، لا تنسَ أن تحرس البوابة الأمامية لحظيرة الخراف. مَنْ الذين ينضمون لكنيسةك؟ هل يَعلم الأعضاء الجدد ما تُعلِّمه كنيسةك؟ هل يتفقون معه؟ هل أنت متأكد؟

تخوض عملية العضوية المقصودة طريقاً طويلاً نحو حراسة كنيسةك من التعليم الكاذب. ينبغي أن يسمع الأعضاء المُحتَمَلون ما تؤمن به كنيسةك قبل أن ينضموا إليها. تعلَّمنا أنا وشيوخ كنيسةتي على مر السنين أن بعض الخصائص اللاهوتية المميّزة لكنيستنا تسبب المزيد من الغيرة لبعض الناس أكثر من غيرهم. وتتضمن هذه الخصائص المميّزة: معمودية المؤمنين، واللاهوت المُصلح، ووجوب أن يكون الشيوخ من الرجال. لذلك نتناول عن قصد تلك المعتقدات الأكثر إثارة للجدل في دروس العضوية التي نقدمها. وإذا تنازلَ واحدٌ ممن يحضرون هذه الدروس عن العضوية، وترك الكنيسة بسبب تلك الآراء العقائدية، فقد أظهرنا له أو لها اللطف على المدى الطويل.

يلزمك أيضاً أن تعرف ما يؤمن به الأعضاء المحتملون. ضع في اعتبارك أن تعقدَ مقابلات الشيوخ وطالبي عضوية الكنيسة. اسأل الناس مباشرةً إذا كانوا يفهمون المواقف العقائدية للكنيسة ويتفقون معها. تطلب بعض الكنائس من الأعضاء الجدد أن يوقِّعوا على بيان الكنيسة العقائدي للإقرار بموافقتهم على الالتزامات اللاهوتية لجماعة المؤمنين.

ولا حاجة أن أقول ذلك، ولكنني سأقوله على أية حال، لا تسمح البتة لغير الأعضاء بأن يؤديوا دوراً تعليمياً منتظماً وسط جماعة المؤمنين في كنيستك.

راقب خدمات كنيستك

هل تعلم ما تعلّمه كنيستك؟ استخدم صلاحيتك كشيخ للدخول والجلوس في محاضرة للشباب أو للجلوس في الخلف في اجتماع للسيدات. قدّم يد المساعدة بضع مرات في اجتماع مدرسة الأحد. ما نوع التغذية الروحية التي يحصل عليها شعبك؟ هل ما يُقدّم من تعليم يمكن اعتباره إنجيلياً متميزاً أم إنجيلياً فاسداً لاهوتياً؟ استمع للموسيقى التي تُعزف وسط جماعة المؤمنين بأذنين مميزتين. ما الرسائل التي تُعلّمها الترانيم عن الله، أو الإنجيل، أو الخلاص؟ هل يدعم الترنيم عقيدتك أم يُفسدها؟

طبّق هذه المراقبة على مستوى الجوهر. فالرعاية الصالحة تتحقق حين يتعرف الرعاة على الأشخاص أنفسهم. ما الذي يقرأونه؟ هل يتابعون وعازاً محددين عبر الإنترنت؟ إذا كان أعضاء الكنيسة يتداولون كتاباً فيما بينهم بحماس، ربما يتوجّب عليك أن تقرأه.

إذا وجدت قائد مجموعة لدراسة الكتاب المقدس، أو معلماً في خدمة مدرسة الأحد، أو محاضراً مُقنعاً يهدم التعليم الصحيح، واجهه أو واجهها مباشرة. لا تؤجّل المواجهة حتى لا يتأزم الموقف ويزداد سوءاً.

اِخْذُمِ الْكَلِمَةَ

لن يتحسن الموقف من تلقاء نفسه. وجّه الرسلُ أصعبَ الاتهامات للمعلمين الكذبة (٢بطرس ٢؛ ٢يوحنا ٧-١١؛ يهوذا ٥-١١)، وحذّر يسوعُ من العواقب الوخيمة التي ستعاني منها الكنائس التي تأوهم (رؤيا ٢: ١٤-١٦، ٢٠-٢٣).

تمييز الشيء الحقيقي

لعل أهم شيء يمكن أن يفعله الشيوخُ للوقاية من التعليم الكاذب هو معرفة الحق الكتابي الحقيقي؛ فحين يكون الشيخ «مُلازِمًا للكَلِمَةِ الصَّادِقَةِ الَّتِي بِحَسَبِ التَّعْلِيمِ»، سيكون «قَادِرًا أَنْ يَعْظَ بِالتَّعْلِيمِ الصَّحِيحِ وَيُؤَيِّخَ الْمُنَاقِضِينَ» (١تيطس ١: ٩). تُعَدُّ الهرطقات وأنصافُ الحقائق آفات، لكن لا توجد سوى حقيقة واحدة. وكلما عرفتَ كتابك المقدس أكثر، زادت قدرتك على تمييز أكثر التعاليم الكاذبة التي يصعب تمييزها.

شعر القادة في إحدى الكنائس أن الراعي انحرفَ بعيداً عن الإنجيل، وقد كان الراعي ذكياً ومتعلماً أكثر من القادة، ويبدو أنه كان يستطيع أن يُثَبِّتَ موقفه من الكتاب المقدس. لكن على الرغم من تفوقه في المعرفة والبلاغة، لم يلائم هذا التعليمُ الجديدُ قادة الكنيسة؛ فقد كانوا مدركين أن هذا التعليم يُختلف عن الرسالة الصادقة التي تعلّموها، حتى مع كونهم غير قادرين على الفوز في أي جدال مع راعي الكنيسة، وبالرغم من عدم قدرتهم على تحديد النقاط التي انحرف فيها بدقة، واجهوا ذلك الراعي، وفي آخر الأمر، تركَ الكنيسة.

الأمرُ لا يستلزمُ الحصولَ على درجة علميةٍ في اللاهوت لحماية عقيدة الكنيسة، لكنه يستلزمُ شجاعةً وإيماناً.

داوم على التعليم

يناشد هذا الفصلُ الشيوخَ حتى يشاركوا في تقديم التعليم الصحيح وحمايته. ولكن لعلك تفعل ذلك بالفعل. وفي الواقع ربما تكون معلماً مُتمرساً، قادراً على حل أكثر المشكلات اللاهوتية تعقيداً وإيقاف أذكى المعلمين الكذبة عن العمل. ومع ذلك، ما زالت مشكلة واحدة كبرى تواجه خدمتك التعليمية وهي أنك: ستموت يوماً ما.

حين تموت، ستترك خلفك، بنعمة الله، مؤمنين كثيرين متعلمين جيداً. ولكن، هل ستترك خلفك معلمين أكفأ مدربين جيداً ليحملوا مشعلَ التعليم من بعدك؟ بعبارة أخرى، هل اتخذت خطوات نحو تدريب آخرين؟ ينطوي جزءٌ مهم من تعليم الكنيسة على تدريب رعاة معلمين للمستقبل، وفقاً لما قاله بولس لتيموثاوس: «وَمَا سَمِعْتُهُ مِنِّي بِشُهُودِ كَثِيرِينَ، أَوْدِعُهُ أَنَا سَأَ أَمْنَاءَ، يَكُونُونَ أَكْفَاءَ أَنْ يُعَلِّمُوا آخَرِينَ أَيْضاً» (٢ تيموثاوس ٢: ٢).

هل لاحظت رجلاً آخر في الكنيسة يبدو معلماً أو شيخاً واعدًا؟ فُكر في التقابل معه بانتظام للقراءة في اللاهوت أو لدراسة الكتاب المقدس. أو فُكر في ضمّه كمُتدربٍ إلى مجموعة دراسة الكتاب في بيتك أو في درس الكتاب الذي تُعلّمه في الكنيسة يوم الأحد. استعرض معه

اِخْدُمِ الْكَلِمَةَ

الخطوات التي تتخذها لتحضير الدرس، وأعطه الفرصة لِيُعَلِّمَ، ومن ثم أعطه رأيك فيما قَدَّمَهُ. ثم أعدِ الكَرَّةَ.

أَحْكِمِ رِبْطَ حِزَامِ الْأَمَانِ

كان كيفين واحداً من الشيوخ الذين قَبَلُوا التحدي الذي عرضته عليهم ليعطوا يوم الأحد صباحاً. وبعد وقت قصير من موافقته على المهمة، قال لي إن لديه تنقلاً متزايداً للكراسة لأهل بلدته، وكان يتساءل ما إذا كان الله يدعو للمساعدة في تأسيس كنيسة هناك. يعمل كيفين معلماً في مدرسة ثانوية في البلدة، كما يعمل مدرباً لرياضة الركض وكرة القدم. ويعرف حَرفياً مئات الناس في مجتمعه. ويا له من شخص مثالي يمكن أن يساعد على قيادة زراعة كنيسة هناك! إن فكرة أن بإمكانه أن يعظ حقاً يوم الأحد صباحاً قد بَنَتْ حياةً جديدةً داخل هذا الحلم.

اليوم، يقضي كيفين في كنيستنا فترة تدريب تُركِّز على الوعظ، ويَدْرُسُ الوعظَ التفسيرِيَّ في دورة تدريبية عبر الإنترنت تُشرف عليها مؤسسة سيميون تراست، كما أنه يقتنصُ الفرصَ المنتظمة للتعليم وتلقّي الآراء والنصائح بشأن ذلك. لا أعرف كيف ستكون كل الخطوات التالية، أو ما إذا كانت زراعة كنيسة ستتحقق. كل هذا في يدي الله، غير أنني أرى شيخاً يلبي دعوته إلى التعليم، ويحرز تقدماً، ويجرؤ على أن يحلم أحلاماً كبيرة من أجل الإنجيل.

البحث عن الضالّين

يُعتبرُ توقُّفُ أحدِ أعضاء الكنيسة عن حضور اجتماع العبادة يوم الأحد صباحاً، ظاهرةً شائعةً جدًّا. وتمر الأسابيع والشهور قبل أن يلاحظ أحدٌ غيابه. ومن الممكن أن يحدث هذا بسهولة أكبر في الكنائس الأكبر حجمًا، ولكنه يمكن أن يحدث أيضًا في الكنائس الأصغر حجمًا.

يشير الناس في كنيسة إلى هذه الظاهرة "بالسقوط بين الشقوق"، أي: الشيء الذي يصبح مُغفلًا عنه. فيقولون أشياء مثل: "هل رأيت سالي في الكنيسة مؤخرًا؟ أرجو أنها لم تسقط بين الشقوق". ولكن هل يحدث الأمر على هذا النحو؟ هل يبدو الأمر حقًا كالسقوط بين الشقوق؟ إن هذا الوصف يجعل الكنيسة أشبه بكوخ صغير بُني أعلى شجرة فوق الأرض، بفجوات كبيرة بين عوارض أرضيته الخشبية. أحيانًا لا ينتبه أحد أعضاء الكنيسة، فيطأ بقدمه إحدى الفجوات، ويختفي سريعًا. أحيانًا يترك الأعضاء الكنائس فجأةً، وعلى نحو عَرَضِيٍّ، ودون أية فرصة لأن يلاحظ الناس اختفاءهم؟

ماذا لو استخدمنا صورةً مختلفةً، بدلاً من "يسقط بين الشقوق"، فقلنا: "يُضَلُّ عن القطيع". تبدو هذه الصورة ملائمةً أكثر، على الأقل لسببين: الأول هو أن كلمة "ضال" تدل ضمناً على أن عضو الكنيسة المنفصل عنها يتحمل مسؤولية شخصية أن يظل مرتبطاً بجماعة المؤمنين؛ إذ ليس من المألوف أن تترك الخرافُ القطيعَ لتسقط في فراغ من دون تفكيرٍ. إنهم يطوفون مع الوقت عبر سلسلةٍ من الخيارات.

السبب الثاني هو أن صورة الخروف الضال تُوحى أيضاً بأن شخصاً ما ينبغي أن يعتني بالرعية ويتصرف عندما يبدأ أحد الخراف يهيم على وجهه. نعم، على كل عضو في الكنيسة مسؤولية شخصية ألا يتجول هنا وهناك، بل على كل عضو في الكنيسة واجب الاهتمام بالآخر. ومع ذلك، تلتزم مجموعة محدّدة أن تكون يقظةً لمراقبة الخراف المحتمل أن تضل. هذه المجموعة هي الشيوخ.

الاستمرار في السهر والحراسة

رأينا في الفصل الثالث أن الشيوخ يسهرون حرصاً على ألا تتسلَّل "الذئاب" لتؤذي الرعية بتعاليمها الكاذبة. لكن يتضمن دور الشيوخ أيضاً أن يُحذروا من التحركات غير المرغوبة في الاتجاه الآخر، أي أن يضلُّ الأعضاء بعيداً عن الرعية والرب. يُعدُّ هذا جزءاً من عمل الرعاية الأساسي، حيث يطعم الرعاةُ الخرافَ، ويحرسونهم من الوحوش المفترسة، ويبقون على اتصال بهم وبأماكنهم.

تذكّر عندما استرجع يعقوب ذكريات عمله الشاق في رعاية قطعان لابان؟ تأسّف يعقوب على إنهاك نفسه في رعاية أغنام لابان وتحمله مسؤولية كل واحد منهم. ونجد في شكوى يعقوب لمحة من الرعاية اليقظة والمسئولة عن سلامة كل عضو في القطيع:

«الآن عشرين سنة أنا معك. نَعَاكَ وَعَنَّاكَ لَمْ تُسَقِطْ،
وَكِبَاشَ غَنَمِكَ لَمْ أَكُلْ. فَرِيَسَةً لَمْ أَحْضِرْ إِلَيْكَ. أَنَا كُنْتُ
أَخْسَرُهَا. مِنْ يَدَيِ كُنْتُ تَطْلُبُهَا. مَسْرُوقَةَ النَّهَارِ أَوْ مَسْرُوقَةَ
الَّيْلِ. كُنْتُ فِي النَّهَارِ يَأْكُلُنِي الْحَرُّ وَفِي اللَّيْلِ الْجَلِيدُ وَطَارَ
نَوْمِي مِنْ عَيْنَيَّ» (تكوين ٣١: ٣٨-٤٠).

بالمقارنة، تتبأ حزقيال على قادة إسرائيل واتّهمهم بأنهم رعاية متهاونون: «يَا ابْنَ آدَمَ، تَتَبَّأُ عَلَى رُعَاةِ إِسْرَائِيلَ، تَتَبَّأُ وَقُلْ لَهُمْ: هَكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ لِلرُّعَاةِ: وَيَلْ لِرُعَاةِ إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ كَانُوا يَرَعَوْنَ أَنْفُسَهُمْ. أَلَا يَرَعَى الرُّعَاةُ الْغَنَمَ؟» (حزقيال ٣٤: ٢). وفي أي شيء كانوا مقصّرين في رعاية الغنم؟ «... الْمَطْرُودُ لَمْ تَسْتَرْدُوهُ، وَالضَّالُّ لَمْ تَطْلُبُوهُ» (ع. ٤). وكانت النتيجة «ضَلَّتْ غَنَمِي فِي كُلِّ الْجِبَالِ، وَعَلَى كُلِّ تَلٍّ عَالٍ، وَعَلَى كُلِّ وَجْهِ الْأَرْضِ. تَشَتَّتَتْ غَنَمِي وَلَمْ يَكُنْ مَنْ يَسْأَلُ أَوْ يُفَتِّشُ» (ع. ٦). رغم ذلك، أعلن الله أنه سيأتي بنفسه ليجث عنم ضلّ من خراف شعبه:

«لأنَّهُ هَكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: هَآنَذَا أَسْأَلُ عَنْ غَنَمِي وَأَفْتَقِدُهَا.
كَمَا يَفْتَقِدُ الرَّاعِي قَطِيعَهُ يَوْمَ يَكُونُ فِي وَسْطِ غَنَمِهِ الْمُشْتَتَّةُ،
هَكَذَا أَفْتَقِدُ غَنَمِي وَأَخْلَصُهَا مِنْ جَمِيعِ الْأَمَاكِنِ الَّتِي تَشَتَّتَتْ
إِلَيْهَا فِي يَوْمِ الْغَيْمِ وَالضَّبَابِ» (حزقيال ٣٤: ١١، ١٢).

هكذا جاء الله في يسوع، ليجمع الخراف الضالة إلى رعية جديدة. شرح
يسوع خدمته للعشارين والخطاة بمقارنة نفسه براع ترك التسعة والتسعين
«التي وُجِدَتْ» لِيُبَحِّثَ عَنْ خُرُوفٍ وَاحِدٍ ضَالٍّ (لوقا ١٥: ١-٧). لَقَّبَ
نَفْسَهُ بِالرَّاعِي الصَّالِحِ الَّذِي لَمْ يَبْذُلْ نَفْسَهُ فَقَطْ عَنْ الْخِرَافِ، بَلْ سَيَّأَتِي
أَيْضًا «بِخِرَافٍ أُخَرَ»، إِشَارَةً إِلَى الْأُمَمِ (يوحنا ١٠: ١٤-١٦).

من جديد، يظهر شيوخ الكنيسة في المشهد؛ لأنهم يخدمون
بصفتهم رعاة، يعملون تحت رئاسة يسوع، في حراسة القطعان التي
نالت الخلاص، وجمَعَهَا يَسُوعُ بِإِنْجِيلِهِ. يَسْتَحِقُّ الشُّيُوخُ عَنْ جِدَارَةٍ لِقَبِ
«أَسَاقِفَةٍ»؛ «لأنَّهُمْ يَسْهَرُونَ لِأَجْلِ نَفُوسِكُمْ كَأَنَّهُمْ سَوْفَ يُعْطُونَ حِسَابًا»
(عبرانيين ١٣: ١٧). ولهذا السبب تُعَدُّ الْقِيَادَةُ الْجَيِّدَةُ لِلْعَائِلَةِ مُوَهِّلاً مِنْ
مُوَهِّلاتِ مَنْصَبِ الشَّيْخِ (انظر الفصل الأول). كما تَتَطَلَّبُ تَرْبِيَةُ الْأَوْلَادِ
تَرْبِيَةً صَالِحَةً إِشْرَافًا دَقِيقًا عَلَى الْأَوْلَادِ وَالْقَوَى الْمَحْرُكَةِ لِلْعَائِلَةِ، وَتَتَطَبَّقُ
الْمَبَادِئُ نَفْسَهَا أَيْضًا عَلَى الرِّعَايَةِ الْجَيِّدَةِ.

عَمَّنْ هم مسؤولون؟

يثيرُ كلُّ هذا الكلام عن الإشراف سؤالاً حيويّاً: من هم بالضبط الشيوخ المفترض أن يقوموا بعملية الإشراف والحراسة؟ إن كان الشيوخ رعاةً، فيجب أن يُعطوا حساباً مثلما فعل يعقوب. إذن عَمَّنْ يجب أن يقدّموا حساباً أمام الله؟ بكل تأكيد يجب ألا نعتبر شيوخ الكنيسة مسؤولين عن كل مؤمن في كل مكان. لذلك يجب ألا يكون الشيوخ مسؤولين سوى عن الإشراف على الذين يحضرون الكنيسة التي يخدمون فيها. أليس كذلك؟

هل يتوجّب على الشيوخ أن يتحملوا مسؤوليةً روحيةً عن شخص حضر الكنيسة مرةً واحدةً فقط أو مرتين؟ حسناً، ربما. أو ربما لا. كم مرة، أو حتى متى، يجب أن ينتظم الشخص في حضور يوم الأحد للعبادة قبل أن يُعدَّ "رسمياً" جزءاً من الأشخاص الذين ينبغي على الشيوخ أن يشرفوا عليهم؟ ماذا لو حضر هذا الشخص حلقة دراسة الكتاب المقدس بانتظام، ولكنه لم يحضر اجتماعات العبادة العامة؟ وهل يُشكل فرقاً لو كان الشخص الذي يحضر بانتظام مؤمناً أو غير مؤمنٍ؟

يبدو أن الرعاية بمفهوم الكتاب المقدس تتطلبُ طريقةً واضحةً لتعريف الرعيّة. يحتاج الشيوخ أن يكونوا قادرين على التمييز بين الناس الذين هم مسؤولون عنهم بوصفهم رعاة وأولئك الذين عليهم أن يرتبطوا بهم بوصفهم إخوة مؤمنين. بعبارةٍ أخرى، تتطلب وظيفة الشيخ فهمًا واضحًا لعضوية الكنيسة.

وظيفة الشيخ وعضوية الكنيسة

تؤدّي عضوية الكنيسة دورين حيويين. أولاً: عضوية الكنيسة تُعرّف الناس بهُويتهم أنهم تلاميذُ يسوع. ولا تجعل عضوية الكنيسة الأشخاص مؤمنين بالمسيح، لكنها تُميّزهم من الخارج كمؤمنين بالمسيح. أعطى يسوع سلطاناً للكنائس المحلية أن «تربط» و«تُحل» (متى ١٨: ١٨)، لتمييز الخراف من خلال ضمهم بالمعمودية لعضوية الكنيسة (متى ٢٨: ١٨-٢٠)، وإلغاء هذا التمييز من خلال الحرمان الكنسي (١٨: ١٥-١٧). ينبغي للشخص الذي يسعى أن يكون عضواً أن يقدم نفسه للكنيسة ويقول: «أنا تلميذ»، وتقول الكنيسة: «نعم، نحن نصدّق أنك كذلك!» (أو في حالات نادرة، «لا، نحن لا نصدّق أنك كذلك!» تقول الكنيسة عند تحريم أحدهم كنسياً: «قد تكون مسيحياً مؤمناً حقيقياً، غير أن خطيتك التي لم تتب عنها لا تعطينا أي مبرر يجعلنا نستمر في الإقرار أنك كذلك».

ثانياً: عضوية الكنيسة لا تُعرّف الناس فقط بأنهم مسيحيون مؤمنون، بل أيضاً تجمع جماعة من المؤمنين المعروفين داخل مجتمع مسيحي محدد، حيث يُكرّسون ذواتهم لبعضهم لبعض. صنّع الرسل تلاميذاً من خلال الكرازة بالإنجيل، ثم تمّ تعميد هؤلاء التلاميذ وضمّهم إلى جماعة محلية حتى يتعلّم المؤمنون أن يطيعوا وصايا يسوع. وعندما كان الرسل يضمون جماعات من التلاميذ إلى جماعة المؤمنين المحلية، كانوا أيضاً يُقيمون شيوخاً لقيادة كل كنيسة وتعليمها. كما ذكر بولس

شريكة في الخدمة، تيطس: «مَنْ أَجَلَ هَذَا تَرَكْتُكَ فِي كَرِيَتَ لَكَي تَكْمَلْ تَرْتِيبَ الْأُمُورِ النَّاقِصَةِ، وَتُقِيمَ فِي كُلِّ مَدِينَةٍ شُيُوخًا كَمَا أَوْصَيْتُكَ» (تيطس ١ : ٥).

هل رأيت كيف تجعل عضوية الكنيسة مشروع إشراف الشيوخ مسألة ممكنة وقابلة للتنفيذ؟

من خلال تعريف الأشخاص بأنهم تلاميذ يسوع وتمييزهم، تُمكن عضوية الكنيسة الراعي الشيخ من معرفة أن تلك الخراف حقًا، خراف، على حد علم الكنيسة. وبضم التلاميذ إلى جماعة المؤمنين، ستساعد عضوية الكنيسة الشيوخ في معرفة أي خراف هي الموضوعات تحت إشرافه. وسيعطي الشيوخ حسابًا لله عنهم (البرانيين ١٣ : ١٧). هذا لا يعني أن الشيخ غير مبال أو قاسٍ تجاه غير الأعضاء الذين يحضرون العبادة في الكنيسة. لكنه يعني أن الشيخ له نوع من السلطة والمساءلة على الأعضاء، وليس له حق في هذه السلطة على غير الأعضاء.

كذلك ستساعد عضوية الكنيسة الأعضاء في جماعة المؤمنين ككل، الذين هم مسائلون بعضهم أمام بعض. يجب أن يتصدر الشيوخ مهمّة البحث عن الخراف الضالة، غير أنهم ليسوا وحدهم الموكّل إليهم مهمّة الحراسة. فالعضوية تعني مساءلةً واهتمامًا متبادلين ضمن جسد المسيح بالكامل.

هل كنيسةك جادة في طريقة تعاملها مع قضية الشيوخ أو تفكر في التحول إلى النموذج المشيخي؟ احرص على أن تعمل على قضية

عضوية الكنيسة في الوقت نفسه^٩. إن نظام العضوية الذي تنتهجه الكنيسة عن قصد من شأنه أن يُوقرَ سياقاً مناسباً لعمل الشيوخ بفاعلية.

خمسة أنواع من الخراف الضالة

افتراض اللحظة أنك شيخٌ يواجه هذا الأمر. أنت تعلم جيداً أن دعوتك تتضمن متابعة الأعضاء الذين يسببون المتاعب. افترض أيضاً أن كنيستك تمارس عضوية الكنيسة عن قصد، وبالتالي تعلم من هم المفترض أن تتابعهم. والآن كيف ستقوم بعملية المتابعة المستمرة؟ وما الذي يجب عليك أن تبحث عنه بوجه خاص؟

فيما يلي خمس طرق عامة يَشْرُدُ بها أعضاء الكنيسة. في أثناء تأديتك لخدمتك العلائقية مع المؤمنين في كنيستك المحلية، حين تسمع بوجود أحد الأعضاء في واحد من هذه المواقف، يجب أن تُحاط علماً بأن ذلك الأخ، أو الأخت، قد يكون بالفعل في حالة شرود أو انحراف.

• خراف متورطة في خطية

لنبدأ بموقف سهل، ولا أقصد بالضرورة أنه يسهل التصدي له، بل يسهل إدراكه. إذا اكتشفت أن واحداً من أعضاء كنيستك متورط في خطية علنية، إذن أنت لديك خروفٌ شاردٌ، وخاطئ يحتاج منك أن تتدخل.

٩- لمقدمة رائعة عن عضوية الكنيسة انظر:

Jonathan Leeman, *Church Membership: How the World Knows Who Represents Jesus* (Wheaton, IL: Crossway, 2012).

يصارع كل عضو من أعضاء الكنيسة ضد الخطية، وكذلك كل شيخ. كتب يوحنا: «إِنْ قُلْنَا: إِنَّهُ لَيْسَ لَنَا خَطِيئَةٌ نُضِلُّ أَنْفُسَنَا وَلَيْسَ الْحَقُّ فِيْنَا» (١ يوحنا ١: ٨). مع هذا، بعض الخطايا تكون أكثر علانيةً ووضوحًا من غيرها، وأحيانًا يبدو بعض الأعضاء أنهم توقفوا عن الصراع ضد الخطية وأذعنوا للعصيان. لهذا، حين ينتبه الشيخ إلى وجود خطيةٍ علنيّةٍ لم يُتَبَّ عنها مرتكبُها، يكون بحاجةٍ إلى أن يستجمع شجاعته ويتوكل على الرب، ويواجه باتضاع هذا العضو، مثلما علمنا يسوع أن نعمل تمامًا (متى ١٨: ١٥-١٧).

تتجح المواجهة في بعض الأحيان. أشعر بالفرح حين تحضرني المرات التي شجعت فيها أحد الأعضاء المتورطين في خطية، وبالرغم من خوفي وارتجافي، قاد الربُّ بكرمه ذلك الشخص إلى التوبة. ومع ذلك، لا ينجح الأمر بهذه الطريقة دائمًا. أعرفُ أحدَ الشيوخ، كان مصممًا للغاية على الاتصال بأحد الأعضاء المخطئين المراوغين، لدرجة أنه أوقف سيارته أمام مكان عمل ذلك العضو في ساعة الغداء متمنيًا أن يواجهه أخيرًا. وللأسف، نجح العضو في التملُّص منه ولم يُتَبَّ ولم يرجع.

• خرافٌ تائهةٌ

يهيم الخروف التائه على وجهه ببطء إلى خارج الكنيسة، حيث تُلهيه نشاطاتٌ أو اهتماماتٌ أخرى. وقد يكون هذا التيهان ناتجًا عن جدول مواعيد مزدحم بالسفريات الكثيرة، أو عن قرار غير حكيم يختص

بتدريب رياضيٍّ للأطفال يُلهي العائلة كلها عن العبادة يوم الأحد، أو عن تعاقدٍ مع شركةٍ لإصلاح وتجديد الطابق العلوي من المنزل، ممَّا يستهلك عطلات نهاية الأسبوع. أحياناً حين يلتحق عضوُ الكنيسة بالجامعة، يَشْرُدُ بعيداً، ولا يعود إلى الكنيسة أو إلى الرب. وفي أحيانٍ أخرى، يشكو البعض من شعورهم بأنهم ليسوا في المكان المناسب في الكنيسة، وبالتالي يتوقفون عن الحضور.

بغضِّ النظر عن الظروف، فقد أخفق هؤلاء الأعضاء في الإصغاء إلى كلمات التحريض الواردة في الرسالة إلى العبرانيين: «وَلْنَلَحِظْ بَعْضُنَا بَعْضًا لِلتَّحْرِيزِ عَلَى الْمَحَبَّةِ وَالْأَعْمَالِ الْحَسَنَةِ، غَيْرَ تَارِكِينَ اجْتِمَاعَنَا كَمَا لِقَوْمٍ عَادَّةً» (عبرانيين ١٠: ٢٤، ٢٥). فقد نسوا أن عضوية الكنيسة تعني الاتصال المنتظم بالأعضاء الآخرين من أجل تعزيز "المحبة والأعمال الصالحة". وقد يطرح أحدهم وجهة نظره ويقول إن مثل هذا الخروف الشارد، الذي ابتعد عن اجتماعات العبادة في كنيستنا، ليست حالته بهذا السوء. لكن الواقع هو أن هذا الخروف يرتكب خطية بعدم طاعته لهذه الوصية الكتابية.

الشيوخ هم الذين يلاحظون الأعضاء الممتلئة حياتهم بالمسؤوليات أكثر من اللازم، وينصحونهم دوماً بألا يسمحوا للأنشطة والمسؤوليات المختلفة أن تخنق التزامهم بحضور العبادة والشركة مع المؤمنين في الكنيسة.

• خراف عرجاء

لم يَعِدْنَا يسوع قط بمناعةٍ من الألم والمعاناة؛ فالمؤمنون بالمسيح، أحياناً يتعرضون للتسريح من وظائفهم، أو يفسخ آخرون علاقتهم بهم، أو يصابون بداء السُّكَّري من النوع الثاني، أو أن تصدمهم سيارةٌ من الخلف على طريقٍ سريع، أو أن يقيم شخص ما دعوى قضائيةً ضدهم. ويشيخ المؤمنون، الذين كانوا قبلاً مفعمين بالنشاط، ويصيرون نزلاء المنزل. هؤلاء الأعضاء المتألمون هم خراف عرجاء مُعرَّضون لخطر التخلي عنهم أو إهمالهم؛ لأنهم لا يستطيعون مجازاة بقية القطيع. إنهم بحاجة لمن يتمهّل ويسير إلى جانبهم. قد تطفئ الضيقات الشديدة القاسية على أقوى القديسين وأكثرهم شجاعة، وتصيبه باليأس وتستهلك طاقته وقدرته في الحفاظ على التواصل الطبيعي مع الكنيسة. إن كان أيوب، ذلك الرجل المعروف بصبره وإيمانه الذي لا يجاريه فيه أي إنسان، قد بلغ صبره أقصاه، فهكذا أيضاً شعب كنيستك.

حينَ تعلّم أن أحد الأعضاء يواجه عاصفةً هوجاء في حياته، فهذا هو الوقت المناسب لأن تعرف المزيد عن الموضوع. هل يحصلُ هذا الأخُ أو هذه الأخت على دعمٍ أو مساندةٍ من الأعضاء الآخرين، سواء من الأصدقاء أو من أعضاء اجتماع درس الكتاب؟ هل يستطيع الشماسة أن يسدّدوا الاحتياجات العملية؟ هل بُلِّغ أعضاء لجنة الصلاة في الكنيسة بأخبارٍ عن الضيقة التي يمرُّ بها هذا العضو؟ كثيراً ما

يكون باستطاعتنا نحن الشيوخ أن نقدّم لعضوٍ يعاني أفضلَ خدمةٍ بأن نثير انتباه جسد المسيح ونحرّكه في الوقت الذي نمد نحن فيه أيدي المساعدة بالصلاة وتقديم المشورة.

كم من المذهل أن يشعر الخروفُ الأعرجُ بأصغر لمحات الاهتمام. إن المعانقة السريعة والصلاة في ردهة الكنيسة بعد انتهاء العبادة، أو رسالة تشجيعية موجزة، أو زيارة قصيرة، من شأنها أن تسندَ عضوًا جريحًا وتعطيه دفعةً للمضي قدمًا لشهر آخر. في الأسبوع الماضي، سألتُ إحدى العضوات في كنيستنا عن حالة زوجها، كان يعاني من مشكلات صحية كبيرة تمنعه أحيانًا من حضور العبادة. وأطلعتني هذه الأخت بآخر المُستجدّات عن حالته الصحية، ثم مضت تمدح أحد الشيوخ على أنه اقتطع وقتًا من جدولهِ لزيارتها. إن تلك الزيارة البسيطة لبيت هذين الزوجين قد شدّدت إيمانهما، وأعطتهما قوةً على المثابرة.

إن كلّ تعبٍ ولو قليلٍ ليس باطلاً. فكلّما نبّهك الربُّ إلى أحد أعضاء الكنيسة المجروحين، مدّد له يدك وزرّه.

• خراف متحاربة

ربما ترى أنه من الصعب تصديق ذلك، لكنني عرفت أن بعض أعضاء الكنائس يتورطون في شجارات مع بعضهم البعض. لا شك في أن هذا لم يحدث قط في كنيستنا! وأنا على يقين من أن الأعضاء

لا يتشاجرون في كنيستك البتة! إن كانت كنيستك مثل كنيسي، فكل الأعضاء يتشاركون في وجهات نظر متطابقة حول السياسة وموسيقى العبادة، وكل اللجان تتبع الأساليب نفسها لحل المشكلات وإدارة الشؤون المالية، ولا أحد يخطئ في حق أحد. هل هذه حقاً حال كنيستك؟

ولا كنيسي أيضاً؟ في الواقع، بناءً على التنوع في الشخصيات والخلفيات بين أعضاء كنيستنا، بالإضافة إلى ميلنا المستمر لارتكاب الخطية، يُدهلني هذا القدر من الانسجام في كنيستنا. لا بد أن الفضل في هذا يرجع إلى الروح القدس.

حين يتصارع أعضاء الكنيسة معاً، وهو ما سيحدث حتماً، نواجه خطراً كبيراً قد يؤدي إلى الشرود بعيداً عن الكنيسة. وسرعان ما يبدأ الناس في الاختفاء سريعاً. فيقولون: "يجب ألا تكون الكنيسة على هذا النحو". أو "لا أستطيع أن أعبد بعد الآن بسبب كل هذا التوتر الذي أشعر به. أريد أن أبتعد عن هذا المكان".

يحتاج الأعضاء المتصارعون إلى حثهم على صنع السلام لمجد الله ولمصلحة الإنجيل، لكنهم على الأرجح بحاجة إلى من يساعدهم على تحقيق ذلك. حتى أكثر التلاميذ نضجاً، قد يكون بحاجة إلى حَكَم. أشار بولس إلى الخلاف بين اثنتين من شركائه في الخدمة: «أَطْلُبُ إِلَى أَفُودِيَّةَ وَأَطْلُبُ إِلَى سِنْتِيخِي أَنْ تَفْتَكِرَا فِكْراً وَاحِداً فِي الرَّبِّ» (فيلبي ٤: ٢). ثم ناشد الكنيسة للمساعدة في هذا الأمر: «نَعَمْ أَسْأَلُكَ

أَنْتِ أَيْضًا، يَا شَرِيكِي الْمَخْلَصَ، سَاعِدِ هَاتَيْنِ اللَّتَيْنِ جَاهِدَتَا مَعِي فِي الْإِنْجِيلِ» (ع. ٣).

يا أيها الشيوخ، لا تتغاضوا عن صراع دائر بين الأعضاء أملاً في أن يُحل من تلقاء نفسه، نادراً ما يحدث ذلك. ربما تميل إلى تجاهل الأمر وتجنبه، لأنك شخصٌ عادي لا يجد متعة في فض الشجارات. لكن لا تتسّ كلمات يسوع: «طُوبَى لِصَانِعِي السَّلَامِ، لِأَنَّهُمْ أَبْنَاءُ اللَّهِ يُدْعَوْنَ» (متى ٥: ٩). تمسّك بهذه البركة. وادعُ الأعضاء المتشاجرين إلى التحدث معك وانظر ما يمكن أن يعملهُ الله. وتذكّر أن هدفَ الشيخ هو نُضج الرعية (انظر الفصل الثاني). تُوفّر الشجارات والصراعات فُرصاً مذهلة للمؤمنين أن ينموا في المسيح.

• خِرَافٌ تَعْضُّ

لكن ماذا لو كان العضو يشتكي من الشيخ الراعي؟ ماذا لو نهشك الخروف وأنت تحاول أن تقترب منه؟ كيف يُفترضُ بك أن تستمر في حراسة أحد يرى أنك سبب رغبته في الانفصال عن الكنيسة؟

تختلف الإجابة عن هذا السؤال اختلافاً ملحوظاً وفقاً للظروف والأشخاص المرتبطين بها. ولكن، بغض النظر عن التفاصيل، فيما يلي ثلاثة أمور ينبغي على الشيخ أن يعملها دائماً حين يتعرّضُ للانتقاد:

- اطلب من شيوخ آخرين أن يساعدوك على العمل مع العضو المتضايق. وكما سنرى في الفصل السادس، يُعتبر هذا أحد

أسباب قضاء الله بضرورة وجود أكثر من شيخ في كل كنيسة، وهذه الممارسة نطلق عليها "تعددية الشيوخ". يحرس الشيوخ بعضهم بعضاً باستمرار؛ لأن الرعاة لا يزالون هم أنفسهم خرافاً. اتضع بخضوعك لفحص دقيق من شيوخ آخرين في المحبة. وإن كان العضو خارجاً عن الطريق القويم، دع الشيوخ الآخرين يدافعون عن موقفك.

- احفظ قلبك من الاندفاع إلى الدفاع عن نفسك، والغضب، والازدراء. وعندما تمد يد العون لشيوخ آخرين، لا تستغل هذا ذريعةً لتتخذ موقفاً دفاعياً؛ بل اجتهد لتعزيز المحبة والترفق نحو من يريدون الانتقال من قدرك.
- حين تتقابل مع أخيك، أو أختك، الساخط عليك، استمع إليه بانتباه. فقد وجدت على مدار السنين أن حتى أكثر الناس غضباً، ومن ينتقدوني بلا رحمة، عادة ما يكون لديهم سبب وجيه. وقد يكون هذا السبب مبالغاً فيه، أو عبروا عنه بطرق غير ناضجة وخاطئة. ولكن يبقى أنهم عادة يتجاوبون تجاه شيء ما أنا بحاجة إلى مواجهته.

الاستمرار في الحراسة: دعوة شكّلها الإنجيل

إن البحث عن الأعضاء الشاردين في هذه المواقف على الأرجح واحدٌ من أصعب الأجزاء والأقل جاذبية في مهمة الشيخ. من المتوقع أن تحصل على المجد والشهرة حين تكون معلماً لأحد الفصول. وقد

تشعر بإحساس من الرضا من صلاتك للأعضاء والبهجة والانتعاش حين تكون عضواً ضمن فريق الشيوخ الذي يتخذ قراراً تاريخياً. ولكن ما الفوائد الشخصية التي ستعود عليك كشخص من مواجهة شخص زانٍ أو من تدخلك لفض شجارٍ طال أمده؟ ومَن ذا الذي يرغب في أن يجلس ويستمتع إلى زوجين غاضبين يشرحان بالتفصيل الطرق المختلفة التي يعتقدان أنك والكنيسة قد أسأتما إليهما بها؟ أليس لدى جميعنا ما يكفي من الدراما في حياته بالفعل؟ فلماذا التورط في مستتقع مشكلات شخص آخر؟

إليك أحد الأسباب: يجسدُ الشيوخ الإنجيلَ بعمق حين يبحثون عن الأعضاء التائبين. والاستمرار في متابعتهم، واقتفاء أثرهم هو اقتداء بيسوع.

جاء الراعي الصالح إلى هذا العالم ليطلب الضال ويخلصه. جاء حَمَلُ الله ليموت عن الخراف غير التائبة، والخاطئة مثلنا. جاء الطبيبُ العظيم ليجبر الخراف العرجاء، والمريضة والمكسورة من جراء الخطية. خاض رئيس السلام عالمنا الذي مرَّقته الحروب، والعدائية، والانقسامات التي لا تحصى. وحين رشقناه بالشتائم، وضربناه، وطعناه، لم يفتح فاه.

لم يكن يسوع مضطراً للمجيء، لكنه جاء. وعندما يبادر الشيوخ إلى التدخل، مهما كلفهم الأمر، فهم يقدمون نموذجاً للإنجيل نفسه الذي يكرزون به.

قَدْ دُونَ تَسْكُطٍ

كان الوضع متدهوراً، إذ لم يكن الراعي الرئيس والراعي المساعد متفاهمين حول العديد من القضايا الحيوية، بما في ذلك الفكر اللاهوتي والطريقة الأمثل لخدمة الكنيسة. وقد راحت بوادر الاختلاف بينهما تظهر في عظائهما أمام جمهور المؤمنين في الكنيسة. وبدأ أن التوتر المتزايد في طريقه لتمزيق الكنيسة.

عَقَبَ أَنْ شَرَحَ الرَّاعِي الْمُسَاعِدَ الْوَضْعَ لِي، سَأَلْتُهُ: "أَلَا يَوْجَدُ فِي كَنِيسَتِكُمْ شَيْخٌ؟" أَكَّدَ لِي أَنَّهُ يَوْجَدُ. فَتَابَعْتُ: "إِذْنِ مَا الْخَطَوَاتُ الَّتِي يَتَّخِذُونَهَا لِحُلِّ هَذَا النِّزَاعِ؟"

فَقَالَ لِي: "هَذَا هُوَ الْجُزْءُ الْمَحْبُطِ إِنَّهُمْ لَا يَعْرِفُونَ مَا الَّذِي يَجِبُ عَمَلُهُ؛ إِذْ يَرْسِلُونَ إِشَارَاتٍ مُخْتَلِطَةً. يَقُولُونَ أحياناً إِنَّهُمْ يَرِيدُونِي أَنْ أَبْقَى فِي فَرِيقِ الْعَمَلِ، وَبِيدُو فِي أحيانٍ أُخْرَى أَنَّهُمْ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ الْاِخْتِلَافَاتِ بَيْنِي وَبَيْنَ رَئِيسِي كَبِيرَةٌ أَكْثَرَ مِنْ الْلازِمِ".

أَسْتَطِيعُ أَنْ أَشْعُرَ بِكُلِّ وَاحِدٍ فِي هَذَا الْوَضْعِ. فَقَدْ شَعُرْتُ بِوَجْعِ قَلْبٍ عَلَى رَاعِيَيْنِ يَحِبُّ كِلَاهُمَا الرَّبَّ لَكِنْ لِكُلِّ وَاحِدٍ وَجْهَةٌ نَظَرٍ عَنِ

الخدمة تختلف عن الآخر. وتعاطفت مع هؤلاء الشيوخ. إنهم على الأرجح رجال صالحون، يريدون أن يخدموا الكنيسة، لكنهم وجدوا أنفسهم متورطين في منازعة معقدة، من المحتمل أن تنفجر في أي وقت بين راعي الكنيسة، وهم يريدون أن يكرموا الاثنين على حد سواء. وليس من الغريب أنهم بدوا مشلولي الحركة. هل كان هذا النوع من الفوضى أعلى من درجتهما الوظيفية؟

مع ذلك، ما كان الراعيان، والكنيسة، بحاجة إليه هو أن يكون الشيوخ مستعدين للتدخل في موقف شديد التعقيد، ويتولوا زمام القيادة.

من يقول هذا؟

قد يبدو من الزائد عن الحاجة أن نُفرد فصلاً كاملاً لموضوع القيادة في كتاب عن الشيوخ. أليس من الواضح أن شيوخ الكنيسة يقودون؟ ربما! لكن أحياناً تَغيبُ الأشياء الواضحة عن نظرنا حين تتأزم الأمور.

من الممكن أن يشعر الشيوخ بسهولة أنهم غير مؤهلين بما يكفي لقيادة كنائسهم، وخصوصاً خلال المواقف شديدة الصعوبة. فيفكرون هكذا: "لست حاصلاً على شهادة أكاديمية من كلية لاهوت. ولم أتلَقُ تدريباً على إدارة الكنيسة. ومع مسؤولياتي العائلية الحافلة ووظيفتي التي أعمل فيها بدوام كامل، لا أجدُ في نفسي طاقة استيعاب كافية

لمعالجة هذه المشكلة. لكي أكون صادقًا، أشعرُ بأنني لست أكثر من عضوٍ مُكرَّمٍ في إحدى لجان الكنيسة“. مَنْ هم الشيوخ العلمانيون حتى يعيدوا تشكيل فلسفة خدمة الإرساليات، التي تتبناها الكنيسة منذ زمن طويل، ومن هم ليقودوا جماعة المؤمنين في مشروع ضخم التكاليف لتوسيع المنشآت، أو ليفصلوا في ادعاءات بقلّة لياقة أو إهمال بدرّ من أحد أعضاء فريق الخدمة في الكنيسة؟

ربما يتساءل أعضاء الكنيسة أيضًا. أحيانًا يتماشى عضو الكنيسة مع قيادة الشيخ العلماني طالما يقود الشيوخ الكنيسة في اتجاه يأتي على هوى عضو الكنيسة. ولكن، عندما يختار الشيوخ مفرق طرق “خطأ” يتوقف عضو الكنيسة فجأة ويتذمر قائلاً: “من يظن نفسه هو؟ كنتُ معه في حلقات دراسة الكتاب المقدس لعشر سنوات. إنه ليس أفضل مني. والآن ألعنه يريد فجأة أن يقرر الأمور بنفسه؟“

يمكننا أيضًا أن نرجع خطوة أخرى للوراء ونشكك في مشروعية سُلطة الشيخ في السياق الأوسع للمرحلة الثقافية التي نعيش فيها. يميل الناس هنا في الغرب للنظر إلى القادة بارتياب. نحن نُحبُّ أن نشكَّكَ في السُلطة، ونبني العديد من نظريات المؤامرة، ونقدم تقارير بأخطاء الغير. وبقدر عظمة القائد، يكون سقوطه أصعب، ويكون فرح العالم بسقوطه أكثر صخبًا. وإذ تحوّلت السُلطة من المؤسسات الخارجية إلى المؤسسات الداخلية، صار كلُّ واحدٍ سيّد نفسه. إذن، في وسط هذا

الجو، من هو الشيخ، ناهيك عن الكنيسة، حتى يخبر أي واحد كيف يجب أن يعيش أو بما يجب أن يؤمن؟

هل حقًا للشيوخ سلطة للقيادة في الكنيسة؟

مُصرح له بالقيادة

لنبدأ بمراجعة الأسماء الثلاثة التي تُستخدم بالتبادل وتُطلق على هذه الوظيفة في العهد الجديد. على الرغم من أن هذه الألقاب الثلاثة لها دلالات مختلفة قليلًا، فإنها جميعًا تدل على فكرة السُّلطة والقيادة:

- **الشيخ:** يشتمل هذا المصطلح على معنى الحكمة والخبرة. يذهب المرء للشيخ طلبًا للمشورة والإرشاد. كما أن الشيوخ لهم سُلطة أخلاقية؛ فعندما يتحدثون، ينبغي على الناس أن يُصغوا.

- **الراعي:** يتولى الراعي أمر القطيع، ويقود الخراف من مكان إلى آخر. هل يمكن تخيل راعٍ لا يهتم في أي اتجاه يتجول الغنم؟

- **الناظر (الأسقف):** يصف هذا المصطلح شخصًا يُشرف على أشياء أو أشخاص ويعتني بهم.

فكر أيضًا مرة أخرى في بعض النصوص الكتابية التي درسناها من قبل. فيما تقرأ هذه الآيات مرةً أخرى، لاحظ أن كل واحد من كُتّاب

تلك الآيات يفترض أن أساقفة الكنيسة لديهم سلطة قيادة الكنيسة، وأن أعضاء الكنيسة عليهم مسؤولية إكرام تلك السلطة والخضوع لها.

«وَأَمَّا إِنْ كَانَ أَحَدٌ لَا يَعْرِفُ أَنْ يُدَبِّرَ بَيْتَهُ، فَكَيْفَ يَغْتَنِّي بِكَنِيسَةِ اللَّهِ؟» (١ تيموثاوس ٣: ٥).

«أَمَّا الشُّيُوخُ الْمُدَبِّرُونَ حَسَنًا فَلْيُحَسَبُوا أَهْلًا لِكِرَامَةِ مُضَاعَفَةٍ، وَلَا سَيِّمًا الَّذِينَ يَتَعَبُونَ فِي الْكَلِمَةِ وَالتَّعْلِيمِ» (١ تيموثاوس ٥: ١٧).

«ثُمَّ نَسْأَلُكُمْ أَيُّهَا الْإِخْوَةُ أَنْ تَعْرِفُوا الَّذِينَ يَتَعَبُونَ بَيْنَكُمْ وَيُذَبِّرُونَكُمْ فِي الرَّبِّ وَيُنْذِرُونَكُمْ، وَأَنْ تَعْتَبِرُوهُمْ كَثِيرًا جَدًّا فِي الْمَحَبَّةِ مِنْ أَجْلِ عَمَلِهِمْ. سَالِمُوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا» (١ تسالونيكي ٥: ١٢، ١٣).

«أَطِيعُوا مُرْشِدِيكُمْ وَأَخْضَعُوا، لِأَنَّهُمْ يَسْهَرُونَ لِأَجْلِ نَفُوسِكُمْ كَأَنَّهُمْ سَوْفَ يُعْطُونَ حِسَابًا، لِكَيْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ بِفَرَحٍ، لَا آتِينَ، لِأَنَّ هَذَا غَيْرُ نَافِعٍ لَكُمْ» (عبرانيين ١٣: ١٧).

الشيخ يديرون الأعضاء، ويقودونهم، ويُنْذِرُونهم، ويستمررون في الاعتراف بهم. ويتجاوب الأعضاء بالتعبير عن التقدير اللائق بالشيخ، ويحترمونهم، ويطيعونهم.

تختلف الكنائس حول كيفية تنظيمها؛ فالكنائس التي تُدار بنظام الجماعة مثل كنيسة، لا يكون تنظيمها مثل الكنائس المشيخية، وكلتا الكنيستين لا تتهجان النظام الأسقي الذي يعتمد على وجود رؤساء أساقفة وأساقفة، مثل أصدقائنا في الكنيسة الأنجليكانية. لكن ينبغي لكل الكنائس أن تتفق على الأقل على شيء واحد مبني على التعليم الكتابي، ألا وهو أن الله قد فوّض مقداراً من السُّلطة للشيوخ من أجل إدارة شؤون الكنيسة المحلية.

الجالس مع الأمتعة

إن كنتَ شيخاً، فاجتهد أن تقود كنيسة. لا تحتاج أن تعرف كل الإجابات، وبالتأكيد لن تتمكن من تحقيق كل شيء بالطريقة المثلى. لكن يسوع قد وكَّلَكَ على قيادة الرعيّة. إن كنيسة تحتاج منك أن تأخذ المبادرة وتقود الشعب إلى الأمام في خريطة الطريق.

ربما تشعر بالرغبة في التجاوب مثل الملك شاول. مع أن الله اختار شاول، ومع أن صموئيل مسحه ملكاً، اختبأ شاول بين الأمتعة وقت كان ينبغي أن يكون أول ظهور له أمام الشعب. لا بد أنه كان مكاناً مثاليّاً للاختباء؛ لأن الشعب كان عليه أن يسأل الله أين هو. «فَسَأَلُوا أَيْضاً مِنَ الرَّبِّ: «هَلْ يَأْتِي الرَّجُلُ أَيْضاً إِلَى هُنَا؟» فَقَالَ الرَّبُّ: «هُوَذَا قَدْ اخْتَبَأَ بَيْنَ الْأَمْتَعَةِ» (صموئيل ١٠: ٢٢). يا أخي الشيخ، لا تختبئ بينما الكنيسة في حاجة لقيادتك. إنه وقت خروجك من بين

الأمّنة، اخرج من المكان المخصص للحقائب وخذ مكانك في مقصورة قيادة الطائرة.

بارك الله جماعة المؤمنين في كنيسة مرة بعد أخرى بشيوخ علمانيين شجعان شغلوا مكان القيادة الشاغر في لحظات حرجة. أفكر الآن في جون، الذي قادنا ببراعة إلى مراجعة دستورنا بعد بضع سنوات اختبرت فيها الكنيسة انقسامًا مؤلمًا. وقد حظيت إعادة كتابته لدستور الكنيسة بتصويت إجماعي من أعضاء الكنيسة. جلست مع تيم في عدد من الاجتماعات المشحونة بالتوتر، ورأيت كيف ينجح بكل هدوء في نزع فتيل الخصام بين أعضاء الكنيسة، وحتى بين أعضاء فريق العمل بالكنيسة. وأتذكّر "مات"، الذي نجح في خلق وحدة في الكنيسة من خلال شرحه بوضوح وبجاذبية احتياجنا إلى توسيع مباني الكنيسة. وممتنٌّ لريك وكلاي، اللذين ساعدا في إرشادنا خلال عملية بحث معقّدة عن راع. وانتهى بحثنا بأن وجدنا راعياً مساعداً رائعاً. ربما لا تلاحظ الرعية مقدار ما فعله إريك من أجلهم بتشجيعه الدؤوب للشيوخ الآخرين على أن يكونوا رعاةً لأعضاء الكنيسة.

حتى وأنا أكتب هذه الكلمات، أحمد الله على "بيل"، الذي مع أنه يعمل حالياً في وظيفتين بدوام كامل، فإنه يستغل الوقت الذي لا يعمل فيه، وخبرته في إدارة الفريق والعمليات، لمساعدتي في رعاية فريق العمل بالكنيسة. إنه يدرّبني على القيادة في الوقت نفسه، وهذا اعتبره مكسباً إضافياً!

بإمكانني أن أملأ بقية هذا الفصل بأسماء وقصص تستحق أن أضعها في قاعة خاصة لمشاهير الشيوخ. فقد كان امتياز لي أن أكون شريكاً لرجال أحبوا هذه الرعية بما يكفي ليتخذوا قرارات صعبة، ويؤسسوا سياسات مبنية على الإنجيل، ويتعبوا من أجل تحقيق وحدة الكنيسة، ويثابروا حتى تعبر أوقات الإخفاق، ويضحوا بساعات من أجل الرعية، في اجتماعات، ومناقشات، وصلوات. إن السلطة التي يستخدمها ببراعة رجال أنقياء، مُحِبُّون، تَبُّ الحياة، والوحدة، والإثمار في الكنيسة المحلية. وتستفيد الكنائس نفسها عندما تكرم تلك السلطة (عبرانيين ١٣: ١٧).

العثرة من النفوذ

ربما لا تزال غير مقتنع!

هل هذا الحديث عن سلطة الشيخ يثير توترك؟ هل لا تزال متردداً حتى مع تلك النصوص الكتابية التي تبرهن هذا الكلام؟ ربما بحسب خبرتك، لا تكمن المشكلة مع الشيوخ في أنهم يشبهون شاول كثيراً عندما وضع نفسه بين الأمتعة حتى يتملص من العرش. تكمن المشكلة في أنهم كثيراً ما يكونون مثل شاول في وقت لاحق من ملكه، حين رمى داود برُمحه محاولاً قتله بدافع الغيرة التي حركها خوفه من أن يغتصب ذلك الولد البَيْتَلَحَمي التاج الملكي منه (١ صموئيل ١٨: ٩-١١). ربما تشعر بأن التهديد الحقيقي الذي يواجهه الشيوخ ليس هو خوفهم وإنما طغيانهم.

أعرف مؤمناً شاباً كان يرغب في خدمة الكنيسة المحلية التي كانت عبارة عن جماعة صغيرة من المؤمنين يمكن أن تستفيد من مواهبه. لكن هذا المؤمن الشاب وَجَدَ نفسه أمام عقبة تتمثلُ في واحدٍ من شيوخ الكنيسة. كان هذا الشيخ قد ساعد في تأسيس الكنيسة، وكان لكلمته نفوذ. علاوة على ذلك، أحياناً ما كان يستخدم نفوذه مباشرة؛ فقد كان واحداً من "رؤساء العمل" وسط جماعة المؤمنين، ولم يكن يخشى أن يُعرف ذلك عنه. وللأسف، لم يُعَجِّب هذا الشيخ بما يمكن لهذا الشاب أن يقدمه للكنيسة ولا بالتغييرات التي أراد هذا الشاب أن يجريها. وفي الحقيقة، لم يكن الشيخ من أنصار التغيير عموماً. ولما انتهت المعركة، وهدأت الأمور، قرر الشاب أن ينسحب من الكنيسة بهدوء، جريحاً وخائب الأمل.

في الحقيقة لا يحتاج الأمر إلى أكثر من صِدَامٍ واحدٍ أو اثنين مع الشيوخ المسيطرين، الذين يشعرون بأهميتهم، ليَجْعَلَ المرء متشككاً من مسائل مثل "السُّلطة الرعوية" و"الإشراف والاهتمام الروحيين". في نهاية المطاف، أليست هذه المصطلحات هي التي يستخدمها قادة الطوائف الدينية المختلفة ليحافظوا على انضباط الناس؟

القيادة دون تَسْلُطٍ

تَشَارَكَ يسوعُ والرسُلُ في مخاوفك. لم يفوضوا الشيوخ بالقيادة فحسب، بل أعادوا أيضاً صياغة القيادة جذرياً بوصفها خدمةً متواضعةً،

وَمُضَحِّيةً للرعية. وأكد بطرس على مسؤولية الشيوخ عن رعاية الخراف كنظار (١ بطرس ٥: ٢)، ولكن في النص نفسه دعا الشيوخ إلى أن يقودوا بوداعة ويكونوا قدوة للرعية: «وَلَا كَمَنْ يَسُودُ عَلَى الْأَنْصِبَةِ، بَلْ صَائِرِينَ أَمْثَلَةً لِلرَّعِيَّةِ» (٣.ع). ربما كان بطرس يذكر في هذا النص ما علمه يسوع له وللتلاميذ الآخرين عن السلطة والعظمة الحقيقيتين في ملكوت الله:

«فَدَعَاهُمْ يَسُوعُ وَقَالَ: «أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رُؤَسَاءَ الْأُمَمِ يَسُودُونَهُمْ»^{١٠}، وَالْعُظَمَاءُ يَتَسَلَّطُونَ عَلَيْهِمْ. فَلَا يَكُونُ هَكَذَا فِيكُمْ. بَلْ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ فِيكُمْ عَظِيمًا فَلْيَكُنْ لَكُمْ خَادِمًا، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ فِيكُمْ أَوَّلًا فَلْيَكُنْ لَكُمْ عَبْدًا، كَمَا أَنَّ ابْنَ الْإِنْسَانِ لَمْ يَأْتْ لِيُخْدَمَ بَلْ لِيُخْدَمَ، وَلِيَبْذِلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً عَنْ كَثِيرِينَ» (متى ٢٠: ٢٥-٢٨).

عندما بذل الراعي الصالح نفسه من أجل الخراف، لم يفتدِهم فقط من الخطية، بل أعطى رعيته التي فداها معنى جديدًا للعظمة والسلطة.

١٠- من اللافت للانتباه أن الكلمة اليونانية المترجمة "يسودون" هنا في (متى ٢٠: ٢٥)، هي الكلمة نفسها التي يستخدمها بطرس (١ بطرس ٥: ٣). وبالإضافة إلى هذه المقاطع، ترد الكلمة في (مرقس ١٠: ٤٢)، (نص يوازي نص إنجيل متى)، وفي (أعمال ١٩: ١٦).

في العشاء الأخير، أذهل يسوع التلاميذ عندما غسل أرجلهم. ثم شرَحَ هذا العمل الصادم الذي فعله على النحو التالي:

«فَإِنْ كُنْتُ وَأَنَا السَّيِّدُ وَالْمُعَلِّمُ قَدْ غَسَلْتُ أَرْجُلَكُمْ، فَانْتُمْ يَجِبُ عَلَيْكُمْ أَنْ يَغْسِلَ بَعْضُكُمْ أَرْجُلَ بَعْضٍ، لِأَنِّي أَعْطَيْتُكُمْ مِثَالًا، حَتَّى كَمَا صَنَعْتُ أَنَا بِكُمْ تَصْنَعُونَ أَنْتُمْ أَيْضًا. الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ لَيْسَ عَبْدٌ أَعْظَمَ مِنْ سَيِّدِهِ، وَلَا رَسُولٌ أَعْظَمَ مِنْ مُرْسِلِهِ» (يوحنا ١٣: ١٤-١٦).

في تلك الليلة، خلع يسوع رداءه وغسل الوسخَ عن أرجل التلاميذ بيديه. وفي اليوم التالي خلع ثيابه مُجدِّدًا، وسُمِّرت نفس هاتين اليدين على الصليب لكي يغسل الخطية عن نفوس تلاميذه. إن أولئك الذين غُفِرَتْ خطاياهم، رفعوا أَعْيُنَهُمْ إِلَى الصليب ونظروا القيادة والعظمة تتجَلَّى في يسوع بطريقةٍ معكوسةٍ تصدم العالم وتَفُضُّه.

بناء القيادة الخادمة

كيف يمكن للشيوخ أن يَظْهَرُوا باستمرارٍ متَّضعين، رابطين المِنْشَفَةِ حول وسطهم، غاسلين أرجل الآخرين، غير منجرَفين إلى أسلوب المتكبرين والحكام الطغاة؟ أيمكنُ للشيوخ حقًّا أن يقودوا دون تَسْلُطٍ وأن يمارسوا السلطة دون استبداد؟

لا يمكنك البتة أن تزيل تمامًا خطر استبداد القيادة. يطارِد الكبرياء قلوبنا باستمرار، وتقع المسؤولية في الأساس على كل شيخ؛ إذ ينبغي أن يَصْلَبَ غروره كل يوم بقوة الروح القدس. لكن يمكن أيضًا للكنائس أن تعملَ أشياء من شأنها أن تعزِّزَ ثقافة القيادة بتواضع. ومن الممكن أن يبنِي القادةُ والشعبُ حياتَهُم معًا بطرُقٍ تجعل القيادة الخادمة تبدو طبيعيةً، وتجعل الحُكمَ المستبد يبدو أمرًا غير لائق.

فكّر في هذه العادات الجماعية الست التي يمكن أن تساعد الشيوخ وجماعة المؤمنين في أن يخدموا بعضهم بعضًا كما خَدَمَ يسوع:

اختر شيوخًا متّضعين

أبسط الأشياء وأكثرها فاعلية التي يمكن للكنيسة أن تعملها هو أن تُنشِئَ عمليةً داخليةً لاختيار الشيوخ المُحتمَلين، ومن ثم تحرص على اختيار الرجال المتضعين. وكما رأينا في الفصل الأول، تُنصُّ قوائم مؤهلات الشيوخ على أن يكون الرجال «مترفين، وليس مخاصمين» (١ تيموثاوس ٣: ٣) وغير «معجبين بأنفسهم، ولا غضوبين» (حادي الطبع) «(تيطس ١: ٧).

سمعتُ أحد الرعاة يقول إن أهم صفة في قائد الكنيسة هي الاتضاع. وتابع قائلاً إن ثاني أهم صفة هي الاتضاع. إذن، ما الثالثة؟ على الأرجح يمكنك أن تُخمن.

عند اختيار الشيوخ، ابحث عن الرجال الذين لديهم خبرة سابقة في العمل في الكنائس بيد حازمة ولكن مترفة في الوقت نفسه. إن الرجال الذين لهم قلب الخادم، الذين عُيِّنوا شيوخًا، من المرجَّح أن يستمروا في التصرف كخدام. وحتى لو أصابهم بعض الزهو بأنفسهم، فإنهم يميلون إلى التجاوب بطريقة حسنة عندما يتعرضون للمواجهة. ابحث عن أولئك الرجال الذين بإمكانهم التعبير عما بذهنهم في أثناء اجتماعات الشيوخ وأيضًا الذين يخضعون لإرادة الفريق حين لا تحصل آراؤهم على غالبية الأصوات. يستطيع الشيوخ المتضعون أن يخضعوا بعضهم لبعض.

لكن إن كان أحدٌ معتدًا بنفسه ومتشامخًا، ومتعنتًا، ومتسلطًا، لا ترتكب خطأً وتسلَّمه عصا الراعي، بغضَّ النظر عن المواهب الأخرى والخبرات أو الموارد والوسائل التي قد يفيد بها الوظيفة: «لَا تَضَعْ يَدًا عَلَى أَحَدٍ بِالْعَجَلَةِ، وَلَا تَشْتَرِكْ فِي خَطَايَا الْآخَرِينَ» (١ تيموثاوس ٥: ٢٢).

فَوْضُ الشَّمَامَةِ

لا يعمل الشيوخ وحدهم في الكنيسة؛ فالرسل عَيَّنوا شمامسة أيضًا. من الخطورة أن نُفَرِّطَ في تبسيط الوصفِ الوظيفي للشمامسة، حيث يعزِّزون وحدة الكنيسة باهتمامهم بالاحتياجات اللوجستية، والإدارية،

والمادية للكنيسة. يرى الكثيرون أن "السبعة" في الكنيسة الأولى هم النموذج الأولي للشماسية؛ فقد كانت مهمتهم الإشراف على توزيع الطعام على أرامل الكنيسة، حتى يسود الانسجام بين جماعة المؤمنين، ويحصل الرسل على القدر الكافي من الحرية للتفرغ لخدمة الوعظ والصلاة (أعمال ٦: ١-٧).

إن بناء نظام صحي من الشمامسة المفوضين بأداء خدمات معينة من شأنه أن يوسّع نطاق السلطة والاختصاص داخل جماعة المؤمنين، وبالتالي يخلق حماية تنظيمية من خطر اختناق الشيوخ من كثرة المهام وعدم أدائهم لمهامهم الأساسية. لا يزال دور الشيوخ هو إدارة شؤون الكنيسة؛ وفي جوهر الأمر يتحملون قدراً من المسؤولية عن كل ما يرتبط بهذه الإدارة. لكن بإمكانهم أن يُكفّوا الشمامسة بواجبات معينة ويمنحهم حرية التصرف. عندما يُكفّ الشيوخ شمامسة مؤهلين بمهام مثل الضيافة في الكنيسة، أو خدمة رعاية الأطفال، أو الاهتمام بمرافق الكنيسة، أو ضبط الحسابات، أو الأعمال الخيرية، ووسائل التكنولوجيا، فإنهم بذلك يوصلون رسالة ثقة بجماعة المؤمنين واتضاع. في المقابل يخفف الشمامسة من أعباء الشيوخ حتى يتفرغون للتعليم، والصلاة، والرعاية، تماماً مثلما فعل "السبعة" الأشخاص مع الرسل في (أعمال ٦).

كن أميناً

هل تتخذ كنيسةك أي إجراءات لمواجهة الشيخ الذي يسقط في خطية؟ قال بولس لتيموثاوس أن يعتبر الشيوخ ويعطيهم كرامةً مضاعفةً (١ تيموثاوس ٥: ١٧، ١٨). لكن في الآيات التالية مباشرة أمر بولس بتوبيخ الشيوخ المذنبين بارتكاب الخطية علانية:

«لَا تَقْبَلْ شِكَايَةَ عَلَى شَيْخٍ إِلَّا عَلَى شَاهِدَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةِ شُهَدَاءَ.
الَّذِينَ يَخْطِئُونَ وَبَخْهُمُ أَمَامَ الْجَمِيعِ، لِكَيْ يَكُونَ عِنْدَ الْبَاقِينَ
خَوْفٌ» (١ تيموثاوس ٥: ١٩، ٢٠).

أيها الشيوخ، إن وجدتم أسقفًا يتمرّد على الرب، ولا يريد أن يتوب، لا تتجاهلوه لأنه شيخ. مثلما قال بولس في الآيات التالية: «أُنَاشِدُكَ أَمَامَ اللَّهِ وَالرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ وَالْمَلَائِكَةِ الْمُخْتَارِينَ، أَنْ تَحْفَظَ هَذَا بِدُونِ غَرَضٍ، وَلَا تَعْمَلْ شَيْئًا بِمُحَابَاةٍ» (ع. ٢١).

أكرم الكلمة

يستطيع الشيخ أن يقود دون تسلُّط بأن يجعل كلمة الله والإنجيل محوريَّين في الكنيسة. يجب على الشيخ أن يخضع نفسه باستمرار للكلمة، في كل تعليمه، وعبادته، وخدمته. وهذا يُذكر الشيخ وجماعة المؤمنين، بأن السُّلطة مشروطة، وبأن الكتاب المقدس وحده هو الذي

له سلطة مطلقة في حياة الكنيسة. يجب على جماعة المؤمنين أن تختار لمنصب الشيوخ رجالاً يُعطون كرامة مضاعفة للكتاب المقدس نفسه، وليس لرأيهم أو فكرتهم عن الكتاب المقدس.

في النهاية، لا يتمتع الشيوخ بسلطة على كنيسة يسوع سوى بقدر ما يُعلمون، ويطيعون، وينفذون كلام يسوع. عبّر القس ويليام جونسون في القرن التاسع عشر عن هذا الأمر قائلاً: "الشيوخ مديرون تنفيذيون، وليسوا مُشرعين"^{١١}. تكمن وظيفتهم في مجرد الإعلان عن التعليم الكتابي وتطبيقه في حياة الكنيسة. وحين يُظهرُ الشيوخ احترامهم الشديد للكتاب المقدس، فإنهم في الوقت نفسه يُخضعون أنفسهم. وبعملهم ذلك يُبرهنون أنهم ذلك النوع من الرجال الذين يريد المؤمنون الحقيقيون أن يتبعوهم.

درب من سيحلُّ محلّك

رأينا في الفصل الثالث أن الشيوخ يجب أن يعملوا على استمرار خدمة التعليم من خلال تدريب آخرين يمكن أن يحلوا محلهم. من هم الذين سيشكّلون الجيل التالي من المُعلّمين والشيوخ؟ بالإضافة إلى القيادة الدائمة للكنيسة، يساعد التركيز على التدريب على بقاء الشيوخ متّضعين. من الصعب جداً أن يكتنز أحدهم السلطة وفي الوقت نفسه يمنحها لآخرين.

11. Cited in Mark Dever, ed., *Polity: Biblical Arguments on How to Conduct Church Life* (Washington, DC: Nine Marks Ministries, 2001), 195.

ثَق فِي جَمَاعَةِ الْمُؤْمِنِينَ

تَرَدَّدْتُ قَبْلَ أَنْ أَكْتُبَ هَذِهِ الْفِكْرَةَ، لِأَن لَيْسَ كُلُّ مَنْ يَقْرَأُ هَذَا الْكِتَابَ مُؤْمِنًا بِنِظَامِ الْكَنِيسَةِ كَجَمَاعَةٍ مُسْتَقَلَّةٍ تَدِيرُ نَفْسَهَا مَحَلِّيًّا مِثْلَمَا أُوْمِنُ بِهِ، وَلَيْسَ هَدَفُ هَذَا الْكِتَابِ أَنْ يَجَادَلَ لِإِثْبَاتِ صِحَّةِ نِظَامِ الْكَنِيسَةِ كَجَمَاعَةٍ مُسْتَقَلَّةٍ تَدِيرُ نَفْسَهَا مَحَلِّيًّا. وَلَكِنْ أَسْمَحُوا لِي أَنْ أُطْرَحَ مَلاحِظَتِي الْمُتَوَاضِعَةَ. إِنْ إعْطَاءُ جَمَاعَةِ الْمُؤْمِنِينَ كُلِّ السُّلْطَةِ النِّهَائِيَّةِ فِي مَجَالَاتٍ مُعَيَّنَةٍ (وَهُوَ مَا تَعْمَلُهُ حَتَّى الْكُنَائِسُ الْمَشِيخِيَّةُ) يُوفِّرُ أَفْضَلَ حِمَايَةِ تَنْظِيمِيَّةٍ مِنْ طُغْيَانِ الشُّيُوخِ. إِنْ التَّزَامُ الشُّيُوخِ بِعَرَضِ الْقَرَارَاتِ الْكُبْرَى عَلَى الْكَنِيسَةِ لِلْمُوَافَقَةِ عَلَيْهَا أَوْ رَفْضِهَا يُجْبِرُهُمْ عَلَى التَّنَازُلِ عَنِ السُّلْطَةِ وَالثِّقَةِ بِاتِّضَاعٍ فِي أَعْضَاءِ الْكَنِيسَةِ وَفِي الرَّبِّ. تَمَنِّيْتُ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ أَنْ أَتِمَّكَنَّ مِنْ اتِّخَاذِ قَرَارَاتٍ كُبْرَى عَنْ طَرِيقِ إِصْدَارِ أَوَامِرٍ مُبَاشِرَةٍ. صَحِيحٌ أَنْ عَمَلِيَّةُ الْجَمَاعَةِ الْمُسْتَقَلَّةِ تَمِيلُ إِلَى أَنْ تَكُونَ أَبْطَأَ، وَأَحْيَانًا لَا تُوْدِي إِلَى النَتِيجَةِ الَّتِي أَرْجُوهَا، وَلَكِنْ عَلَى مَدَارِ السَّنِينَ، زَادَ تَقْدِيرِي لِلطَّرِيقَةِ الَّتِي يَبْنِي بِهَا نِظَامَ الْجَمَاعَةِ الْمُسْتَقَلَّةِ الْوَحْدَةِ وَالثِّقَةِ بَيْنَ الشُّيُوخِ وَأَعْضَاءِ الْكَنِيسَةِ حِينَ يُطَبَّقَ جَيِّدًا. إِنْ إِيْمَانُ الْكَنِيسَةِ بِأَنَّ السُّلْطَةَ النِّهَائِيَّةَ (الْعَلِيَا) بِشَأْنِ اتِّخَاذِ قَرَارَاتٍ مُعَيَّنَةٍ هِيَ فِي يَدِ جَمَاعَةٍ (جُمْهُورٍ) الْمُؤْمِنِينَ سَيَجْبِرُ الشُّيُوخَ عَلَى أَنْ يَجْتَهِدُوا فِي التَّعْلِيمِ وَالتَّوَاصُلِ مَعَ شَعْبِ الْكَنِيسَةِ، وَالثِّقَةِ فِي اللَّهِ مِنْ خِلَالِ الصَّلَاةِ.

الرعاة باعتبارهم رعية

عَيْنُ يَسُوعَ رَعَاةٌ يَعْمَلُونَ تحت رياسته في رعاية رعيته، ويجب على الشيوخ أن يتحمَّسوا بِجِدَّةٍ لهذا التكليف ويقودوا كنائسهم بشجاعة. إن الأساقفة غير المؤثرين، والسليبيين، يجعلون مشكلات الكنيسة تتطور من سيئ إلى أسوأ. لذلك، أناشد جميع الشيوخ إخوتي أن يقودوا جماعات المؤمنين، من أجل الكنيسة، والإنجيل، ومجد الله!

لكن وسط كل هذا الحديث عن الرعاة، لا تنسَ هذه الحقيقة المكملة: أنت نفسك لا تزال واحداً من الرعية.

هذه هي المفارقة الكبرى التي يواجهها كلُّ شيخ؛ فهو راع، وفي الوقت نفسه هو واحدٌ من الرعية. إنه قائدٌ لأتباع يَسُوعَ وتابعٌ لِيَسُوعَ، وأسقف في جسد المسيح، الكنيسة المحلية، وفي الوقت نفسه، عضو تابع للجسد. إن الشيخ رجلٌ يُخطئ، ولكنه مُخلَّصٌ ومُؤيَّدٌ بالنعمة، ومستمرٌّ في تبعيته للراعي الصالح، يسوع المسيح. أتخيّل يَسُوعَ يقترب منه فجأة، ويدفع في يده عصا الراعي المعقوفة، ويقول له: «ارْعَ خِرَافِي» (يوحنا ٢١: ١٥).

كيف ستحسم التوتر الملازم لحقيقة أنك فرد من الرعية تحوّل إلى راع؟ لا تفعل شيئاً، بل اقبل الأمر. ولبّ الدعوة إلى الرعاية، وفي الوقت نفسه أعلن اتكالك الكامل على الرب. قل: "لنذهب في هذا الاتجاه"، بينما في الوقت نفسه تتضمن لبقية أعضاء الكنيسة في هتاف جماعي: "يا ربُّ أرشدنا". ثبت نظرك على يسوع، وبنعمته، قد شعبك دون أن تتسلط عليهم.

امرعوا معاً

سعيداً أنك لا تزال تقرأ هذا الكتاب، كنتُ بصراحة أشعرُ بالقلق من أن تستسلم وتكتفي بالجزء الذي قرأته. ليس لأن هذا الكتاب طويل أكثر من اللازم أو لأنه صعب الفهم، بل لأنني قلقٌ من أن يصيبك الإحباط بسبب كلِّ ما يشترط الكتاب المقدس أن يكون متوفراً في الشيوخ. وبالتالي، كان كل ما يقلقني أن تتوقف عن قراءة الكتاب.

كان الفصل الافتتاحي عن مؤهلات الشيخ سيئاً بما يكفي؛ فقد وضع الرسلُ مقياساً عالياً للشيوخ، يتضمن أن تتشبه شخصيته بالمسيح، ويدبر شئون بيته حسناً، ويتمتع بالقدرة على التعليم والدفاع عن الحق الكتابي. ويكون "بلا لوم". كل شخص يعرف أخطائه وعلى دراية بضعفاته سيجد أن أقل ما يُقال عن هذه الشروط هي أنها جديّة. فيما كنت أكتب ذلك الفصل، لم يسعني إلا أن أفكر في هذا السؤال: "هل أنا حقاً مؤهلٌ لأكون شيخاً، ناهيك عن كتابة فصل عن مؤهلات الشيخ؟"

لكن حتى إن نجوتَ بمعجزة وتجاوزتَ التصفية الأولى من الغربال، فالمهام الثقيلة في الفصل الثاني إلى الفصل الخامس كفيلة بأن تُجهزَ عليك؛ فالشيوخ يرعون الرعية، ويعلمون العقيدة، ويدحضون الهرطقات، ويُغذّون أعضاء الكنيسة نحو النضوج، ويبحثون عن الشارد، ويديرون، ويقودون، وينزعون فتيل النزاعات، وغير ذلك من الواجبات.

ولا تزال أمامنا ثلاثة فصول.

تربكني متطلبات هذه الوظيفة أحياناً، وأنا راع يتقاضى أجراً وأكرّس وقتي كاملاً خلال الأسبوع لهذه الوظيفة. ولكن ماذا لو كنتَ شيخاً علمانياً تعمل في وظيفة كثيرة المتطلبات، أو كنتَ عاملاً أو موظفاً مجتهداً يذهب إلى عمله كل صباح، أو مسؤولاً عن عائلة نشطة، وبيت يجب عليك الاعتناء به، وربما لديك حتى هواية أو اثنتان؟ كيف تعدل بين الدعوة العليا للإشراف على جماعة المؤمنين في السُويغات القليلة المتبقية لديك؟ إن الأمر يبدو مثل وصفة للفشل. هل قيام العلمانيين بالرعاية أمرٌ ممكن؟

أعتقد أنه ممكن؛ فجزء من الحل يكمن في التمسك الشديد بدعوتك إلى الرعاية وإعطاء الأولوية لها. علق ألكساندر ستروتش (Alexander Strauch) صراحة على هذا الموضوع قائلاً:

كثيرٌ من الناس يرعون عائلات، ويعملون، ويُخصّصون ساعات كثيرة من وقتهم لخدمة المجتمع، والنوادي، والأنشطة الرياضية والمؤسسات الدينية. وقد استطاعت جماعاتٌ دينيةٌ مختلفة أن تُكوّن حركاتٍ تضم أعداداً كبيرة من العلمانيين؛

ولا تزال قائمة حتى الآن؛ وذلك، في المقام الأول، بفضل تطوع أعضائها بجزء من وقتهم لها. أما نحن المسيحيين المؤمنين بالكتاب المقدس صرنا مجموعة من المسيحيين الكسالى، والضعفاء، الذين يجب أن تدفع لهم إن كنت تريد أن تُتجز المهمة. من المذهل بطريقة إيجابية كم يستطيع الناس أن يُنجزوا حين يكونون محفّزين لعمل شيء يحبونه. رأيت أشخاصاً يبنون بيوتاً ويعيدون تجديدها وتنظيمها في أوقات فراغهم^{١٢}.

يجب على من يتطلعون لشغل منصب الشيخ أن يحسبوا نفقة الخدمة، ومن ثم ينفقوا أنفسهم طوعاً لكنائسهم متكئين على نعمة الله. غير أن هنالك عاملاً آخر يجعل قيام الشيوخ العلمانيين بالرعاية أمراً مُحتمَلاً. ويُعد هذا أحد العوامل الكتابية عن وظيفة الشيخ الذي مكّنني من المضيّ قدماً بقوة كراع على مدار السنين. عندما صمّم الله الكنيسة المحلية، أقام فيها بحكمته الإلهية نظاماً تعدّدية الشيوخ. إن الرعاية ممكنة لأن المُفترض فيها أن تكون عملاً جماعياً.

الرعاية بصيغة الجمع

عندما وصّف العهد الجديد أداء الشيوخ الفعلي لمهامهم في الكنائس، أشار إليهم بصيغة الجمع. تأمّل الآيات التالية، ولاحظ أن العديد من الشيوخ يقود الكنيسة الواحدة:

12. Alexander Strauch, *Biblical Eldership: An Urgent Call to Restore Biblical Leadership* (Littleton, CO: Lewis and Roth Publishers, 1995), 28.

«وَلَمَّا حَضَرُوا إِلَى أُورُشَلِيمَ قَبِلَتْهُمْ الْكَنِيسَةُ وَالرُّسُلُ وَالْمَشَايِخُ،
فَأَخْبَرُوهُمْ بِكُلِّ مَا صَنَعَ اللَّهُ مَعَهُمْ» (أعمال ١٥ : ٤؛ راجع
أيضاً العديدين ٦، ٢٢؛ ١٦ : ٤).

«وَأَنْتَخَبَا لَهُمْ قُسُوسًا فِي كُلِّ كَنِيسَةٍ، ثُمَّ صَلَّيَا بِأَصْوَامٍ
وَاسْتَوْدَعَاهُمَ لِلرَّبِّ الَّذِي كَانُوا قَدْ آمَنُوا بِهِ» (أعمال ١٤ : ٢٣).
«وَمِنْ مِيلَيْتُسَ أَرْسَلَ إِلَى أَفْسُسَ وَاسْتَدْعَى قُسُوسَ الْكَنِيسَةِ»
(أعمال ٢٠ : ١٧).

«بُولُسَ وَتِيمُوثَاوُسَ عَبْدَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، إِلَى جَمِيعِ الْقَدِيسِينَ
فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، الَّذِينَ فِي فِيلِبِّي، مَعَ أَسَاقِفَةٍ وَشَمَاسَةٍ»
(فيلبي ١ : ١).

«مَنْ أَجَلَ هَذَا تَرَكْتُكَ فِي كَرِيَتَ لِكَي تَكْمَلَ تَرْتِيبَ الْأُمُورِ
النَّاقِصَةِ، وَتُقِيمَ فِي كُلِّ مَدِينَةٍ شَيْوَحًا كَمَا أَوْصَيْتُكَ»
(تيطس ١ : ٥).

«أَطْلُبُ إِلَى الشُّيُوخِ الَّذِينَ بَيْنَكُمْ، أَنَا الشَّيْخَ رَقِيقَهُمْ، وَالشَّاهِدَ
لِلْآلَامِ الْمَسِيحِ، وَشَرِيكَ الْمَجْدِ الْعَتِيدِ أَنْ يُعْلَنَ» (١ بطرس ٥ : ١).
«أَمْرِيضْ أَحَدَ بَيْنَكُمْ؟ فَلْيَدْعُ شُيُوخَ الْكَنِيسَةِ فَيُصَلُّوا عَلَيْهِ
وَيَذْهَبُوا بِزَيْتٍ بِاسْمِ الرَّبِّ» (يعقوب ٥ : ١٤).

هل رأيت النمط؟ إننا نجد مراراً وتكراراً شيوخاً (بصيغة الجمع) في كل كنيسة (بصيغة المفرد).^{١٣} كان لكل جماعة مؤمنين فريق رعاة خاص بها. ومع أن هذه ملاحظة أولية، فإنها تُشكّل فرقاً جوهرياً حين تُوضَع موضع التنفيذ. تُعتبر تعددية الشيوخ أمراً ذا أهمية قصوى لاستدامة الرعاية.

شارك الحِمْل

أبداً بما هو واضح: إن وجود عددٍ من الشيوخ يسمحُ بإمكانية توزيع عبء الرعاية عليهم. أثبتت الكثير من الأمثال صحتها وانطباقها على خدمة الشيخ منها: "كثرة الأيدي تخفف من عبء العمل"، "العمل الجماعي يُقسّم المهام ويضاعف النجاح"، وغيرها.

سألّنتي عضوة في كنيستنا ذات مرة كيف يمكن أن تصلي من أجلي. شاركتها بعبء الخدمة المتزايد. كان عدد أعضاء كنيستنا في تزايدٍ خلال ذلك الوقت، وكانت الأعباء والاحتياجات الرعوية تتضاعف. سألتها بطريقة بلاغية إلى حدٍّ ما: "كيف أخدمُ بطريقة فعالةٍ رعيةً آخذةً في التزايد؟"

من الواضح أنها لم تأخذ سؤالي على نحوٍ بلاغي. ولن أنسى أبداً إجابتها؛ فقد ابتسمت، وهزّت كتفيها، وقالت ببساطة: "بالمزيد من الرعاية".

13. Ibid., 37.

بلا شك، المزيد من الرعاية. لَمْ أُصَدِّقْ أَنِّي لم أفكر في هذا من قبل.

حسنًا، أفترض أنه إذا غاب عن موسى الشيء الواضح، فهكذا يمكن أن يغيب عني أيضًا. تَعَيَّنَ على حميّه يثرون أن يُنَحِّيهِ جانبًا وِيَلَفَتْ انتباهه إلى احتياجه إلى مزيدٍ من أيادي العون.

«وَحَدَّثَ فِي الْغَدِ أَنَّ مُوسَى جَلَسَ لِيَقْضِيَ لِلشَّعْبِ. فَوَقَّفَ الشَّعْبُ عِنْدَ مُوسَى مِنَ الصَّبَاحِ إِلَى الْمَسَاءِ... فَقَالَ حُمُو مُوسَى لَهُ: «لَيْسَ جَيِّدًا الْأَمْرُ الَّذِي أَنْتَ صَانِعٌ. إِنَّكَ تَكُلُّ أَنْتَ وَهَذَا الشَّعْبُ الَّذِي مَعَكَ جَمِيعًا، لِأَنَّ الْأَمْرَ أَعْظَمُ مِنْكَ. لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَصْنَعَهُ وَحْدَكَ» (خروج ١٨: ١٣، ١٧، ١٨).

ما الحل الذي اقترحه يثرون؟ نصحه بأن يقيم شركاء له في العمل:

«وَأَنْتَ تَنْتَظِرُ مِنْ جَمِيعِ الشَّعْبِ ذَوِي قُدْرَةٍ خَائِفِينَ اللَّهَ، أَمَنَاءَ مُبْغِضِينَ الرَّسُوَّةَ... فَيَقْضُونَ لِلشَّعْبِ كُلِّ حِينٍ. وَيَكُونُ أَنَّ كُلَّ الدَّعَاوِي الْكَبِيرَةِ يَجِيبُونَ بِهَا إِلَيْكَ، وَكُلَّ الدَّعَاوِي الصَّغِيرَةِ يَقْضُونَ هُمْ فِيهَا. وَخَفَّفَ عَنْ نَفْسِكَ، فَهُمْ يَحْمِلُونَ مَعَكَ» (خروج ١٨: ٢١، ٢٢).

كما أن إضافة المزيد من القضاة قد خَفَّفَ العبء عن كاهلي موسى، هكذا وجود العديد من الشيوخ يوزِّع عبء الخدمة على عدد أكبر من الخدام. وبالتالي، إذا كنت شيخاً، فابحث عن وسائل تمكُّنك أنت وزملاؤك من تقاسم عبء العمل. والفِتِ انتباه الآخرين إلى النقاط الأكثر إلحاحاً في الكنيسة، التي بحاجةٍ إلى مزيدٍ من الاهتمام ومن ثم، نسَّقوا جهودكم معاً. إذا كانت أعباء الخدمة طاغيةً عليك، لا تستمر في محاولة إنجازها على أية حال، بل أطلق صافرة الإنذار لتعبّر عن محنتك وادعُ الإخوة إلى مساعدتك.

ما الوسائل الأخرى التي يمكن بها أن توزَّع عن قصد المسؤوليات على فريق الأساقفة (النُّظَّار)؟ ذكرتُ سابقاً كيف حاول الشيوخ في كنيستنا أن يُقسِّموا أعضاء الكنيسة بينهم، ولكن ليس عليك بالضرورة أن تفعل ذلك بالطريقة نفسها. الفكرة من وراء هذا أن تشارك العمل عن قصد.

شيوخ الجيش السويسري

لا تقتصرُ فوائدُ مشاركةِ أعباءِ الرعاية على تقسيم العمل؛ فالتعدُّدية تمكِّن الكنيسةَ أيضاً من الاستفادة بمواهب الشيوخ المتنوعة، حتى يقوم كلُّ واحدٍ بدوره من واقع ما يتمتَّع به من نقاط قوة. ومع أن كل الشيوخ يتحملون المسؤوليات نفسها، فإنهم يُزيِّنون الخدمة بباقةٍ من المواهب والخبرات المتنوعة.

أَتَذَكَّرُ أَنِّي حَصَلْتُ عَلَى أَوَّلِ سَكِينٍ سويسرية حِينَ كُنْتُ بَعْدُ طِفْلاً. لَا أَتَذَكَّرُ بِالضَبْطِ كَمَا كَانَ عَمْرِي حِينَ ذَاكَ، وَلَكِنِّي مَا زِلْتُ أَسْتَطِيعُ تَصَوُّرَ الْمُقْبِضِينَ اللَّامِعِينَ ذَوِي اللَّوْنِ الْأَحْمَرِ عَلَى الْجَانِبِ الْخَارِجِيِّ مِنَ السَّكِينِ، وَمَوْجُودَ بَيْنَهُمَا تَوْقِيعَ بِأَنَّهَا أَدَوَاتُ الْجَيْشِ السُّوَيْسِرِيِّ. وَأَتَذَكَّرُ حِمَاسَتِي حِينَ رُحْتُ أَسْتَكَشِفُ الْأَدَوَاتِ وَاحِدَةً تَلُو الْأُخْرَى، وَأَتَخِيلُ كَيْفَ سَأَسْتَخْدِمُ كُلَّ وَاحِدَةٍ لِلْبَقَاءِ عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ لَوْ ضَلَلْتُ الطَّرِيقَ ذَاتَ مَرَّةٍ فِي الصَّحَرَاءِ. كَانَ يَوْجَدُ سَكِينٌ أَطْوَلَ، وَسَكِينٌ أَقْصَرَ، وَمَلَقَاطٌ صَغِيرٌ، وَمِفْكَ بَرَاغِي، وَمِقْصٌ، وَبِالتَّأَكِيدِ، الْأَدَاةُ الَّتِي لَا غِنَى عَنْهَا لِلْبَقَاءِ عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ، بَرِيْمَةٌ لِنَزْعِ السَّدَادَاتِ الْفِلِينِيَّةِ مِنَ الزَّجَاجَاتِ.

أَشْعُرُ شَعُورًا مِمَّاثِلًا كُلَّ عَامٍ حِينَ نُرَحِّبُ بِأَعْضَاءِ جَدِّدٍ دَاخِلِ مَجْلِسِ الشُّيُوخِ فِي كَنِيسَتِنَا. كُلُّ أَخٍ مِنْهُمْ يَأْتِي وَمَعَهُ مَوَاهِبُ فَرِيدَةٍ يَضِيفُهَا لِلْفَرِيقِ، تَدْفَعُنَا لِاِكْتِشَافِهَا وَاسْتِخْدَامِهَا. وَيَشْبِهُ الْأَمْرُ فَتْحَ سَكِينِ سُوَيْسِرِيَّةٍ بَشَرِيَّةٍ، حَيْثُ يَحْدِثُ اسْتِكَشَافٌ لِمَوَاهِبِ كُلِّ شَيْخٍ، الْوَاحِدَةِ تَلُو الْأُخْرَى. وَبِطَبِيعَةِ الْحَالِ، يَجِبُ أَنْ يَتِمَّتَعَ جَمِيعُ الشُّيُوخِ بِالْمَوَاهِبِ الْأَسَاسِيَّةِ لِلوُظُفَةِ، مِثْلَ مَوْهَبَةِ الْقِيَادَةِ وَالتَّعْلِيمِ. وَلَكِنْ حَتَّى تِلْكَ الْمَوَاهِبُ يُمْكِنُ أَنْ تَتَنَوَّعَ فِي قُوَّتِهَا وَشَكْلِهَا مِنْ شَيْخٍ إِلَى آخَرٍ.

فِي فَرِيقِ الشُّيُوخِ الْحَالِيِّ، يُعَدُّ "مَارِكُ" الْأُسْتَاذِ الْمُسَاعِدِ بِإِحْدَى كَلِيَّاتِ اللَّاهُوتِ الْمُحَلِّيَّةِ وَاحِدًا مِنْ أَعْضَاءِ الْفَرِيقِ. وَيَسْتَخْدِمُ مَارِكُ مَوَاهِبَهُ الْخُطَابِيَّةَ الْوَاضِحَةَ وَدِرَاسَاتِهِ الْمُتَقَدِّمَةَ فِي الْعَهْدِ الْجَدِيدِ لِتَقْدِيمِ

خدمة تعليمية مميزة في جماعة المؤمنين. أما "كنت" فقد استثمر مراراً وتكراراً خبرته في مجال الشؤون المالية لقيادتنا في القضايا المختصة بالميزانية. كما أن "جون" لديه شغف عميق بالصلاة وقد استطاع مرات كثيرة على مدار السنين أن يقنع الشيوخ الذين يميلون إلى الإجراءات العملية بالركوع على ركبهم والصلاة. ويتمتع "هيرب" بروح تمييز غير عادي، وعادة ما يطرح سؤالاً نافذاً في أثناء المناقشات يقودنا مباشرة إلى لبّ الموضوع، أو موطن الداء في القضية.

خذ وقتاً لتتعرف على الشيوخ رفقاءك في الخدمة، اكتشف مواهبهم واكشف عنها في حياة كل واحد، وتعلم كيف تُخرجها إلى النور. وعندما تعملون معاً، ربما تصاب بإحباط من اختلاف الطرق التي يحل بها الأساقفة المشكلات أو التي يضعون بها الأولويات. ولكن لا تترك نفسك فريسةً للضيق من تلك الاختلافات. بدلاً من ذلك، انظر إلى الشيوخ الآخرين باعتبارهم جزءاً من مجموعة أدوات هندستها العناية الإلهية لخدمة جماعة المؤمنين في كنيستك. كل هذا جزء من عبقرية تعددية الشيوخ.

ارعِ الرعاة

ذكرنا في الفصل السابق أن الشيوخ هم أيضاً أعضاء في رعية يسوع، وقلنا في هذا الموضوع إن قادة الكنيسة يواجهون مفارقة كبرى هي أن "الرعاة أنفسهم رعية". تثير هذه المفارقة سؤالاً جديراً بالاهتمام:

إذا كان الرعاية هم في الوقت نفسه رعية، فمن الذي يرقى الرعاية؟ يحتاج الشيوخ إلى عناية رعية تمامًا مثل كل شخص آخر؛ فقد يستسلم الرعاية إلى التجربة، وينجرفون إلى الاكتئاب، أو يتورطون في نزاعات، أو يُنهَكون من أعباء الخدمة في الكنيسة، أو يفقدون أحباء لهم. وحتى حين لا يكونون في أزمة، لا يزال الشيوخ بحاجة إلى من يستمر في تغذيتهم، تمامًا مثل أي عضو في الكنيسة. من يُشرف عليهم روحياً؟

هنا، مُجدِّداً، تُقدِّم التعددية الإجابة. يجب على الرعاية أن يرقوا الرعاية. يمكن للإشراف الجماعي أن يستمر؛ لأن الشيوخ، بصيغة الجمع، يتصرفون كرعاة بعضهم لبعض.

منذ عدة سنوات انضم أحد الإخوة إلى فريق الشيوخ للمرة الأولى. وقلتُ شبه مازحٍ لزوجته: "هل أنتِ جاهزةٌ للتجارب؟" فسألتُ: "أي تجارب؟"

فأجبتُها: "التجارب التي ستأتي عليكما عندما يصير زوجك شيخاً. استعدي للامتحان".

على ما يبدو كان للمزحة أثرٌ أكبر مما كنت أظنُّ؛ حيث فقد الرجلُ وظيفتهُ بينما كان يخدم كشيخ، وظل بلا عمل لأكثر من سنة. وخلال هذه "الإجازة الإجبارية"، غمر الشيوخ الآخرون حياة أخيهام الشيخ

بسبيلٍ منظمٍ من الصلوات وعبارات التشجيع المستمرة، وبفضل نعمة الله ودعمهم، اجتاز الرجلُ هذه التجربةَ أقوى مما كان وأكثر نقاءً.

إن كنتَ شيخاً، فعليك بالمجازفة، وكن حقيقياً مع الآخرين. لا تخف من الكشف عن جراحك ومخاوفك، وصراعاتك وخطاياك. لن يستطيع الشيوخ الآخرون أن يرعوك جيداً لو كنت تتظاهر بأنك الرجل الخارق. اطلب منهم على وجه التحديد أن يصلوا من أجل احتياجات مُعيَّنة في حياتك. وكما ذكرتُ سابقاً، يجتمع شيوخنا مرتين كلَّ شهرٍ، ويخصصون واحداً من الاجتماعين للصلاة. في ذلك الاجتماع يسأل كلُّ واحدٍ منا الآخر كيف يمكن أن يصلي من أجله. إنها ممارسةٌ بسيطةٌ وسهلةٌ، ولكنها تساعدنا على أن نظل واعين لاحتياج كل منا إلى الرعاية من الشيوخ الآخرين.

في أحد اجتماعات الشيوخ للصلاة منذ سنواتٍ عدة، عندما سألنا كيف يمكن أن نصلي بعضنا من أجل بعض، نزع واحد من الشيوخ قناعَ المثالية، وتكلَّم بصراحة عن عمله وموارده المالية اللذين يُمَرِّان بأزمة، وعن الصراع الذي يخوض فيه نتيجة اليأس. كانت لحظة صراحة، ولكنها فتحت أمامنا باباً؛ فقد دخل بضعة شيوخ آخرين من هذا الباب وشاركونا عن احتياجات في زيجاتهم. وكان وقت صلاتنا التالي في ذلك المساء بعيداً تماماً عن الروتينية؛ فقد تشفَّعنا بعضنا لبعض بحماسة وتحنُّن غير مسبوقين.

إن كنتَ عازماً على رعاية جماعة مؤمنين بفاعلية، فأنت بحاجة إلى الخضوع لإشرافٍ روحيٍّ. لذلك، اتضع واسمح للشيوخ الآخرين بأن يهتموا بك.

اشحذ الحديد

تعرّفنا فيما سبق، كيف تساهم التعددية في جعل العمل الرعوي عملاً مستداماً، خصوصاً بالنسبة للشيوخ العلمانيين. تعزز طريقة الخدمة الجماعية، أي الخدمة كفريق، تقديم الرعاية على نحو أفضل، لأنها تحمي الشيوخ من التعرض للإنهاك بتوزيع أعباء الخدمة، وإشراك المهارات والمواهب التكميلية، ومساندة الشيوخ في تجاربهم.

تعرض مجموعة أخرى من الأخطار طريق الرعاية، منها: الكبرياء، وحب السيطرة، والتزمّت، وعدم الانفتاح على نداءات الآخرين، وحتى الإساءة إليهم. وكما رأينا في الفصل السابق، يجب على الشيوخ أن يقودوا دون تسلّط. تساعد التعددية على حمايتنا من ميلنا إلى الهيمنة حيث تخلق جَوْاً فيه يستطيع القادة أن يمارسوا عملياً ذلك المثل الشهير: «الْحَدِيدُ بِالْحَدِيدِ يُحَدَدُ وَالْإِنْسَانُ يُحَدَدُ وَجَهَ صَاحِبِهِ» (أمثال ٢٧: ١٧).

حين يمارس الشيوخ مبدأ التعددية ممارسةً صحيّةً، من الصعب على وجهات نظر أو ميول رجلٍ واحد أن تكون هي المهيمنة؛ لأن الشيوخ يعوض بعضهم بعضاً. يخفف الشيوخ الأكثر لطفاً حدة طبع

الشيخ الأكثر انفعالاً والنشطاء يحركون التحليليين نحو اتخاذ قرارات فعلية. ويحرص أيضاً الشيخ، من أصحاب الإيمان الكبير، على أن يكون كل قرار ليس مجرد ممارسة أخرى تُتخذ بناءً على سياسة الحيلة والحذر ومبادئ تقليل المخاطرة، في حين يساعد الشيخُ العمليُّون الشيخَ الحالمين وأصحاب الرؤى على ألا يتصرفوا تصرفات حمقاء تحت ذريعة "الثقة في الله". يولد هذا النوع من التوازن المتبادل جواً يتعزّر على الأنانيين أن يحتملوا البقاء فيه.

غير أن الأهمّ هو أن تخلق التعددية نظاماً للشيخ يسمح بأن يستدعوا بعضهم بعضاً حين يخرج واحدٌ منهم عن المسار المُتَقَرِّ عليه.

تزداد سخونة اجتماعات الشيخ في كنيستنا أحياناً (أدرك أن هذا لا يحدث في معظم الكنائس، لذلك ربما يلزمك أن تستخدم خيالك). أنعم الله على جماعة المؤمنين في كنيستنا بقيادة أقوياء لديهم آراء مُعْتَبَرة، ويخدم العديد منهم كشيخ. وعندما تنثار قضية صعبة خلال اجتماعات الشيخ، هكذا ترتفع درجة الحرارة في قاعة الاجتماعات.

مع ذلك تأثرتُ جداً مراراً كثيرة لرؤية شيخ يطلبون مقابلة بعضهم البعض على انفراد عقب انتهاء الاجتماع. في بعض الأحيان يعتذر أحدُ الشيخ للآخر؛ لأنه انفعَل عليه أكثر من اللازم. وربما يتقابلان وسط الأسبوع لاحتساء القهوة، ويتحدثان عن نقاط الاختلاف بينهما.

ومراتٍ أخرى، ينبّه أحدُ الإخوة أخاه بشأن سلوكه أثناء الاجتماع، ويحثه على تعديل هذا السلوك، وتغيير طريقته في التعامل. ويصُدُّ الشيوخ الأصغر سنًا بلطفِ الشيوخ المُخضرمين حين يحاولُ الشيوخ الأكبر سنًا أن يهيمنوا على المناقشة بطرق تسكت الشيوخ الأصغر سنًا. وقف الأساقفةُ في اجتماعاتِ الكنيسة حتى يعتذروا لجماعةِ المؤمنين على نبرة ردودهم غير اللائقة التي بدرت منهم في اجتماعاتٍ سابقة، وذلك بفضل الحثِّ اللطيف من إخوتهم الأساقفة لهم.

كان أحد الشيوخ صريحًا في كلامه دومًا. من ناحية، كان هذا شيئًا عظيمًا أن يخدم بيننا كشيخٍ لأنه يساعدنا على ألا نسقط في تفكير جماعي دون نقدٍ للأفكار، وذلك بفضل قدرته على التعبير بوضوح عن وجهات النظر المخالفة بشغف. وصرتُ أُقدِّرُ هذا أكثر فأكثر، خاصةً لأنني أميلُ إلى تجنبِ النزاع. ومن ناحيةٍ أخرى، يمكن لهذه الصراحة أن تخلقَ احتكاكاتٍ. لكن يبقى أنه صارَ معروفًا بأنه يدعوني عقب انتهاء اجتماع الشيوخ ليسألني إن كان قد تخطى حدوده أو ما إذا كان من الواجب أن يقدمَ اعتذارًا. فإن قلتُ: "نعم، ربما كنتُ حادًا قليلًا" أجد هذا الشيخَ على الفور يتخذُ خطوات نحو تصحيح الأمور. فقد شاهدتهُ على مدار السنين يزداد لطفًا ولياقةً وحساسيةً للآخرين، دون أن يفقد موهبته في عدم الترددِ في قول الكلام الصريح المباشر.

استمتع بالرحلة

اسمح لي بطرح آخر بشأن تعددية الشيوخ. إنه لأمرٌ مُرضٍ، وممتعٌ أيضاً، أن تقدم الرعاية كفريقٍ أكثر من أن تقدمها كراعٍ واحدٍ بمفرده. وبالنظر إلى خبرتي في الخدمة الرعوية لأكثر من خمسة عشر عاماً ونصف، أستطيع أن أقول إن من أكثر ما كان يفرحني هو خدمتي مع الشيوخ العلمانيين من جماعة المؤمنين في كنيسة. كان هؤلاء الرجال زمرة إخوة لي ولبعضهم البعض؛ فقد تقاسمنا الضحكات والدمعات، واحتفلنا معاً بانتصاراتٍ، وصلينا كثيراً من أجل إيجاد حلول لمشكلات كانت تبدو أليفاً غير قابلة للحل. لقد وقفوا بجانبني، وأحياناً حدث ذلك حرفياً، خلال أصعب اللحظات في خدمتي. وفي مراتٍ كثيرةٍ، قدّتهم على نحوٍ جيدٍ، وفي مراتٍ أخرى، انتشلوني وحملوني حتى صار باستطاعتي أن أقود من جديدٍ.

إن كنتَ في كنيسةٍ لها راعٍ واحدٌ يتقاضى أجراً ولا يوجد بها شيوخٌ، أناشدك أن تستخدم كلَّ ما لديك من تأثيرٍ لتُحرِّك كنيسةَكَ نحو تبني مبدأ الاستعانة بأساقفة علمانيين. إن نظام الراعي الواحد ليس فقط نظام غير صالح للاستعمال من المنظور الكتابي، بل إن كانت كنيسةَكَ تنتهجه حالياً، سيُحرَم راعي كنيسةَكَ من الدعم الحيوي والرضا العميق أيضاً، كما يُحرَم أعضاء الكنيسة الآخرون كذلك من رعاية رعويةٍ أغنى، علاوةً على حرمانهم من فرحة رؤية رجال من جماعتهم

ينضجون ويصبحون قادةً، وستقوُّ رجالاً في جماعة المؤمنين بكنيستك فرصاً للنمو لن تأتي إلا حين يخطون خطوات بالإيمان لرعاية جماعة المؤمنين والإشراف عليها.

أنت تحتاج إلى الشيوخ (بصيغة الجمع). هذه هي خطة يسوع للرعاية المستدامة، والفعّالة في كنائسه.

كن قدوة في النُضج

في صباح اليوم الأول من يناير عام ١٩٩٦، كنتُ جالسًا في مكتبي الجديد كمساعدٍ مؤقتٍ لراعي كنيسة ساوث شور المعمدانية. لا شيء يُدخل في النفس إحساسًا بالأهمية والأمان مثل لقب ”الراعي المساعد المؤقت“.

لكنني كنتُ سعيدًا في ذلك الصباح لأنني قد أنهيتُ دراستي الجامعية وأصبحت لي خدمة حقيقية. كنت قد انتهيت من دراسة آخر الفصول الدراسية في كلية اللاهوت قبل بضعة أسابيع، فطويت خلفي سنتين ونصف كنت متفرغًا فيها لدراساتي العليا. وقبل دراستي العليا في كلية اللاهوت مباشرةً، كنت قد اجتزْتُ بعد عناء أربع سنوات من الدراسة، وحصلت على بكالوريوس الدراسات الكتابية. وبعد أكثر من ست سنوات متتالية من الدراسة، صار لديّ بلا شك كل ما أحتاجه لأكون راعيًا: درجتان أكاديميتان في اللاهوت، ومجموعة من كتب التفسير الناشئة الواعدة، و يضع عظات سابقة التجهيز من فصول علم الوعظ التي درستها سابقًا. ماذا ينقصني غير ذلك؟

نَمَّة شَيْءٍ واحدٍ "صغير" كُنْتُ أَفْتَقِرُ إِلَيْهِ: كُنْتُ أَفْتَقِرُ إِلَى شَخْصٍ يُعَلِّمُنِي كَيْفَ أُرْعَى جَمَاعَةَ الْمُؤْمِنِينَ فَعَلِيًّا.
لِذَلِكَ أَعْطَانِي اللَّهُ "رَاي".

كَانَتِ الْكَنِيسَةُ قَدْ عَيَّنَتْ "رَاي" فِي مَنْصِبِ الرَّاعِي الْمُؤَقَّتِ قَبْلَ بَضْعَةِ أَسَابِيعٍ مِنْ دَعْوَتِهِمْ لِي. كَانَ رَاي، وَهُوَ مِنْ إِقْلِيمِ نِيُو إنْجِلَانْدِ بِالْوَلَايَاتِ الْمُتَّحِدَةِ الْأَمْرِيكِيَّةِ، خَادِمًا حَكِيمًا، وَشَيْخًا كَبِيرَ السَّنِ. وَقَدْ أَرَانِي عَلَى مَدَارِ سَنَةٍ وَنِصْفٍ كَيْفَ أُرْعَى كَنِيسَةً. فَقَدْ رَاقَبْتَهُ وَهُوَ يَشُقُّ طَرِيقَهُ عِبْرَ التِّيَّارَاتِ الْعَاتِيَةِ الْقَادِمَةِ مِنْ جِهَةِ مَجْلِسِ الشُّيُوخِ. وَجَلَسْتُ فِي حَلَقَاتِ الْمَشُورَةِ الرَّعْوِيَّةِ الَّتِي كَانَ يَدِيرُهَا، وَحَرِصْتُ عَلَى مُرَافَقَتِهِ فِي زِيَارَاتِهِ لِلْمَرْضَى فِي الْمُسْتَشْفَيَاتِ. وَقَدْ زَوَّدَنِي بِنَمَاذِجٍ لِعِظَاتٍ تُقْلَى فِي مَرَامِسِ الزَّفَافِ وَالْجَنَازَاتِ، مَا زِلْتُ أَسْتَخْدِمُهَا إِلَى الْيَوْمِ. كُنْتُ أَعْتَبِرُ نَفْسِي مُحْظُوظًا أَنْ أَرَى عَمَلِيَّةَ الرِّعَايَةِ عَمَلِيًّا أَمَامَ عَيْنِي. وَكُنْتُ أَمْزَحُ أحيانًا وَأَقُولُ إِنِّي إِذَا قَدِمْتُ أَيْ خِدْمَةَ رَعْوِيَّةَ بِطَرِيقَةٍ صَحِيحَةٍ فَغَالِبًا سَيَكُونُ الْفَضْلُ فِي ذَلِكَ لِاقْتِدَائِي بِرَاي، وَإِذَا فَعَلْتُ شَيْئًا خَطَأً فَغَالِبًا سَيَكُونُ السَّبَبُ فِي ذَلِكَ هُوَ أَنِّي كُنْتُ أَرْتَجِلُ.

لَكِنْ عِلَاوَةً عَلَى تَعْلِيمِهِ لِي مَهَارَاتِ الْخِدْمَةِ، كَانَ رَاي بِشَخْصِيَّتِهِ وَصِفَاتِهِ وَقَلْبِهِ نَمُودَجًا لِلرَّاعِي؛ فَقَدْ أَظْهَرَ قُدْرَتَهُ عَلَى الصَّبْرِ بِإِحْدَاثِهِ التَّغْيِيرَ بِإِبْقَاعِ بَطِيءٍ بِالْقَدْرِ الْكَافِي أَنْ تَتَحَمَّلَهُ جَمَاعَةُ مُؤْمِنِينَ مِنَ الْيَانِكِي، أَيْ: أَبْنَاءِ الْجُزْءِ الشَّمَالِيِّ مِنَ الْوَلَايَاتِ الْمُتَّحِدَةِ الْأَمْرِيكِيَّةِ.

كن قدوةً في النُضجِ

وكان يظهر الكثير من اللطف، والتواضع، والفرح، حتى حين لم يكن يحصل على مبتغاه. وكان يتكل على الله، ويحل المشكلة تلو الأخرى من خلال الصلاة. وفوق هذا كله، أحبَّ الناس، وكان الناس يعرفون ذلك. وأخيراً، لم يُعرِّفني راي فقط كيف أكون راعياً، بل عرَّف الكنيسة كلها كيف تتبع يسوع.

كن مُتمثلاً بي

تدفعني خبرتي مع راي إلى التفكير في ما قاله بولس للكنيسة في كورنثوس: «كُونُوا مُتَمَثِّلِينَ بِي كَمَا أَنَا أَيْضًا بِالْمَسِيحِ» (١ كورنثوس ١١: ١). أريدو لك هذا قريباً؟ هل قلتَ قبلاً لأحد المؤمنين أن يقتدي باقتدائك بيسوع؟ يبدو الأمر وكأنه بديل كنسيٍّ متعجرفٍ من لعبة تخمين. تخيّل نفسك تقول لمجموعة دراسة الكتاب المقدس التي تقودها أو لزملائك في لجنة الكنيسة: "أريد أن أخبركم جميعاً بأني أتبع يسوع جيداً، لذلك ينبغي أن تتمثلوا بي!" لعل تلك الآية كانت جملةً لا يستطيع إلا بولس أن يقولها؛ إذ في نهاية المطاف، هو رسولٌ، وهو يستطيع أن يقول أقوالاً عظيمة ولا يُلام عليها، مثل: «تتمثلوا بي».

لكن بولس ذهب إلى أبعد من هذا؛ فلم يقل فقط: «تتمثلوا بي»، بل حث الكنيسة في فيليبي أيضاً على الانتباه إلى الذين عاشوا حسب القدوة التي قدَّما: «كُونُوا مُتَمَثِّلِينَ بِي مَعًا أَيُّهَا الإِخْوَةُ، وَلَا حِطُّوا الَّذِينَ يَسِيرُونَ هَكَذَا كَمَا نَحْنُ عِنْدَكُمْ قُدُوةً» (فيليبي ٣: ١٧). هل لاحظت

آخر كلمة في تلك الآية؟ قال بولس: «نحن» بدلاً من «أنا». تشير كلمة «نحن» في رسالة فيلبي إلى بولس وتيموثاوس (١ : ١). وبالتالي امتدت دائرة القدوة إلى أبعد من بولس لتشمل تيموثاوس والمؤمنين في فيلبي الذين عاشوا بحسب النموذج الذي قدّمه بولس وتيموثاوس بحياتهما.

في رسالة بولس إلى تيموثاوس، أوصى صراحةً تلميذه الشاب أن يكون نموذجاً يُقتدى به: «لَا يَسْتَهِنُ أَحَدٌ بِحَدَاثَتِكَ، بَلْ كُنْ قُدْوَةً لِلْمُؤْمِنِينَ فِي الْكَلَامِ، فِي التَّصَرُّفِ، فِي الْمَحَبَّةِ، فِي الرُّوحِ، فِي الْإِيمَانِ، فِي الطَّهَارَةِ» (١ تيموثاوس ٤ : ١٢).

ماذا لو كان النموذج الذي يُحتذى به ليس مقصوداً على الرسل القديسين؟ ماذا لو كان تقديم القدوة والاقتداء ضربتي قلب تؤمّن إشكلاً الإيقاع الطبيعي لحياة التلمذة المسيحية؟ وماذا لو كان ما نحن بحاجة إليه حقاً لننمو في النضج هو أن يكون لدينا المزيد من الأشخاص مثل "راي" وتيموثاوس ليرسّخوا أمامنا القدوة في كنائسنا؟

سيكون ذلك أمراً معقولاً؛ نظراً لأنه يبدو أن الله صمّمنا بطريقة تجعل الاقتداء جزءاً أساسياً من كياننا. فمنذ الطفولة تعلمنا الكلام، والسلوك، والتفاعل من خلال تقليد من هم حولنا. وكل أبٍ قد مرّ بتلك اللحظات المرعبة حين سمع كلماته تخرج من فم طفله؛ وتقلق الأم بشأن الأصدقاء الذين سيختارهم ابنها أو ابنتها المراهقة؛ لأنهما مدركان لتأثير الأصدقاء

كن قدوةً في النضج

وتشكيل الأقران بعضهم لبعض. وحتى البالغون يلتقطون بعضهم من بعضهم نبرات الكلام، والعبارات، وتعبيرات الوجه، والدعابات، والميول والأذواق، والعادات، والهوايات. ولهذا، عند النظر إلى الزوجين اللذين مر على زواجهما السعيد خمسون عامًا يظهر أنهما بمرور الوقت قد انصهرا تدريجيًا معًا في قالبٍ وصارا شخصًا واحدًا.

هذه الديناميكية القائمة على النموذج ومن يتمثل به، والمثال والمُقلد له، تمتد إلى التلمذة المسيحية. لكن الحياة المسيحية لا تبدأ بالتقليد، بل تبدأ بمعجزة. تبدأ التلمذة حين يسمع الخاطئ رسالة الإنجيل ويُغيّر الروح القدس - على نحو خارق للطبيعة - ميّله الداخلي من خلال الخبر، أي الاستماع. ونتيجة لذلك يتوب الخاطئ عن خطاياه ويؤمن بأن يسوع قد مات وقام من بين الأموات ليخلصه. وهكذا يُولد ثانية بقوة الله، وتكون صرخته الأولى هي «يسوع هو الرب!» يجب للشخص أن يولد ثانية لكي يدخل ملكوت الله. ولا أحد يستطيع أن يُقلد هذا التغيير الذي يحدث عند العبور من عدم الإيمان إلى الإيمان.

لكن الآن، يجب لحديث الولادة روحياً المولود من السماء أن ينمو في النضج متشبّهًا بالمسيح. كيف يحدث هذا؟ يتضمن هذا عددًا من العوامل، مثل الحصول على التغذية من كلمة الله، ولكنه يحتاج أيضًا إلى شيء آخر؛ يحتاج هذا المولود من الله حديثًا إلى عائلة، حيث يمكنه أن يتعلم عن طريق الاقتداء بالآخرين كيف يمشي مع يسوع. إنه بحاجة إلى كنيسة محلية.

توفّر الكنيسة المحلية المتمتعة بالصحة بيئةً غنيةً بالعلاقات من أجل عملية متبادلة قائمة على النموذج والتقليد. بعد أن يصير عضواً في شركة الإنجيل، يمكن للمؤمن المولود حديثاً أن يقارن ملاحظاته مع مؤمنين آخرين مولودين حديثاً في طريقهم لتعود الحياة الغربية الرائعة التي يحياها أتباع يسوع الذين غفرت خطاياهم. ويمكنه أن يتعلم أيضاً من إخوته الأكبر سناً الذين اتبعوا يسوع لمدة أطول، وفي أثناء ذلك، ربّحوا معارك ضد الخطية بقوة الروح القدس، وتحملوا عواصف حياتية عاتية بنتقّتهم في نعمة الله. وقد يجد أيضاً بضعة آباء وأمّهات أتقياء، مثل الرسول بولس والقس "راي"، يُلهمونه أن يصلّي: "يا رب ساعدني أن أكون مثل هذا". نحن بحاجة ليس فقط إلى التعليم والوعظ السليم عن الحياة المسيحية الطائفة، بل أيضاً إلى رؤية القداسة عملياً. نحن ننمو عن طريق التمثّل بالآخرين، مثلما تمثّل الرسل بيسوع، ومثلما تمثّل تيموثاوس ببولس، ومثلما تمثّل جيرمي بالقس راي.

الرعاية بالكينونة

إذن ما علاقة كل هذا بالشيوخ؟ من المفترض لهذا الكتاب أن يكون وصفاً وظيفياً للأساقفة. أين تبرز أهميتهم في هذا الحديث عن القدوة والتمثّل بها؟

الأمر بسيط: دعا الله الشيوخ ليكونوا رجالاً جديرين بالاقتداء بهم. ومن المعتاد للكنيسة المحلية المتمتعة بالصحة أن تحوي العديد من الناس، رجالاً ونساء، الذين يستحقون أن يكونوا أمثلة يُحتذى بها. ولكن

كن قدوةً في النُضجِ

عندما تُعيّنُ الكنيسةُ رجلاً ليكون أسقفًا، فكأنها تقول رسميًا: "أمامكم رجلٌ تعترف الكنيسةُ بأنه مثالٌ رسميٌّ لأتباع يسوع الناضجين". إنه ليس المثال الوحيد، وليس مثالاً كامل الأوصاف، وليس بالضرورة أفضل مثال على كل فضيلة مسيحية في جماعة المؤمنين هذه. ولكن الشيخ، على أية حال، هو نموذجٌ معيّنٌ للمنصب كما يجب. تقول الكنيسة من خلال إقرارها بأن شخصاً ما شيخٌ: "اقتدوا به كما يقتدي هو بالمسيح". ينبغي للكنيسة أن تكون قادرةً على توجيه المؤمنين حديثي الإيمان إلى أحد الشيوخ وتقول له: "أتريد أن تعرف كيف يجب أن يكون شكل المؤمن الحقيقي؟ انظر إليه".

بعبارة أخرى، تتطوي وظيفة الشيخ على الرعاية سواء **بالكينونة** أو **بالفعل**. يرفع الشيوخ الكنائس ليس فقط بما يفعلونه، بل أيضاً بما هيتهم، أي: بكينونتهم. ومن دون الكينونة، يفشل الفعل.

لنراجع الآن عناصر الوصف الوظيفي للشيخ التي عرضناها في الفصول السابقة. لاحظ كيف يمكن لكل عنصر من عناصر قائمة المهام الواجب فعلها أن يتحقق إن توفرت في الشيخ قائمة الصفات الشخصية الواجبة. باختصار، الشخصية المتشبهة بالمسيح هي شرط لا بد منه للخدمة الرعوية.

لخصنا في الفصل الثاني الوصف الوظيفي للشيخ بالكامل في جملة واحدة هي: "رعاية أعضاء الكنيسة نحو المزيد من النضج المتشبه بالمسيح". إن الشيوخ رعاة يستثمرون في حياة أعضاء الكنيسة ليساعدوهم على المزيد من النمو معاً إلى صورة يسوع.

لكن لو كان الشيخ هو نفسه غير ناضج، فكيف يمكن أن يرعى آخرين نحو النمو في التقوى؟ وكما أنك لا تريد أن تعين مستشاراً مالياً سبق أن بذّر ثروته في قرارات استثمارية فاشلة، وكما أنك لن تمارس التمارين الرياضية تحت إشراف مدربٍ لياقة بدنية لا يتمتع بأيّة لياقة بدنية لأنه لن يثير في داخلك الإحساس بالثقة فيه، هكذا الشيخ الأناني، غير النقي الذي يقول: «تمثلوا بي» لن يكون له الكثير من الأتباع. لن تقود آخرين للمسيح إلا إلى المكان الذي ذهبت إليه بنفسك.

عرض الفصل الثالث مهمة التعليم؛ حيث يشرح الشيوخ الحقّ الكتابي، ويدحضوا الأخطاء العقائدية. ولكن ماذا لو كانت حياة المعلم تتعارض مع تعليمه بطرق صارخة؟ سيكيف الجميع عن الاستماع إليه عدا المتوافقين معه. ليس عند الناس صبرٌ على المعلم الذي يقول: "افعلوا كما أقول، وليس كما أفعل". والأسوأ من ذلك، هو أن على المعلمين المرائين الذين يعلمون شعب الله، أن يواجهوا الله. ولا عجب أن يعقوب قد حذر قائلاً: «لَا تَكُونُوا مُعَلِّمِينَ كَثِيرِينَ يَا إِخْوَتِي، عَالَمِينَ أَنَّنَا نَأْخُذُ دَيْنُونَةً أَعْظَمَ!» (يعقوب ٣: ١).

لكن عندما يجمع الراعي بين التعليم القويم والحياة القويمة، لن يُعَدَمَ أبداً رعية ملتزمة به ومخلصة له. وعندما أفكر في خدمة "راي" التعليمية كراع مؤقت لكنيسة، أتذكر دومًا إحدى العظات البارزة. خلال أسبوع عيد القيامة، علّمنا راي من يوحنا ١٣ عن غسل يسوع أرجل التلاميذ. وما زلتُ أتذكر تلك العظة لسببين: الأول، هو أنها كانت عظة عظيمة؛ فقد تكلم راي بوضوح وبتأثير عن قلب يسوع في

كن قدوةً في النُضجِ

الخدمة، ليس فقط من حيث غسل الأرجل بل من حيث الذهاب إلى الصليب ليغسل الخطايا ويزيلها عنا. كما دعا جماعة المؤمنين إلى خدمةٍ متضعةٍ بعضنا لبعض في ضوء الإنجيل مماثلة لخدمة يسوع.

السبب الثاني، والأهم، لتذكُّري هذه العظة هو أنني فيما كنت أستمع للكلمات عن القلب الخادم، رأيتُ أيضاً الاتضاع، والخدمة، والتضحية بالذات في الرجل الذي كان يعظ بتلك الكلمات؛ فقد دفعني سلوكُ راي المسيحي الثابت إلى الإصغاء لعظته.

في الفصل الرابع أجرينا فصصاً لمسؤولية الشيخ التي تطالبه بافتقاد الأعضاء الشاردين. إنها مهمة حساسة؛ لأن الأعضاء الذين يبتعدون عن الكنيسة غالباً ما يكونون عُرضةً للكسر والإصابة بالجروح بسهولة. وتكون النتيجة هي أنهم كثيراً ما يصارعون لاستعادة الثقة بالآخرين. ولذلك حين يسعى أحد الرعاة المشكوك في نزاهتهم إلى افتقاد خروفٍ شاردٍ، من المرجح أن يتراجع الخروف أو يفر منه. كيف يمكن للخروف أن يثق بجهود الراعي في "السهر" على رعايته بينما الراعي (الشيخ) لا يستطيع أن يسهر على رعاية نفسه؟

يمكننا أن نخطو بالحديث خطوةً أخرى إلى الأمام؛ إذا كان رياء الراعي معروفاً خارج أسوار الكنيسة، فهذا سيمنع الآخرين حتى من الرغبة في زيارة "خطيرة الخراف" يوم الأحد. «وَيَجِبُ أَيْضًا أَنْ تَكُونَ لَهُ شَهَادَةٌ حَسَنَةٌ مِنَ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَارِجٍ، لِئَلَّا يَسْقُطَ فِي تَغْيِيرٍ وَفَحٍّ إِبْلِيسَ» (١ تيموثاوس ٣: ٧).

في الفصل الخامس ناقشنا التوتّر القائم بين القيادة بثقة وفي الوقت نفسه بلطف. أقول مُجدِّداً إن الشخصية التقية هي المفتاح. كما قال بطرس: «ارْعَوْا رَعِيَّةَ اللَّهِ الَّتِي بَيْنَكُمْ نُظَارًا، لَا عَنْ اضْطِرَارٍ بَلْ بِالْاخْتِيَارِ، وَلَا لِرِيحِ قَبِيحٍ بَلْ بِنَشَاطٍ، وَلَا كَمَنْ يَسْوُدُ عَلَى الْأَنْصِبَةِ، بَلْ صَائِرِينَ أُمَثَلَةً لِلرَّعِيَّةِ» (١بطرس ٥: ٢، ٣). كون الراعي مثالا للرعية هو الترياق المضاد لكونه مفترياً عليهم. وعندما يعيش الشيوخ ويحبون مثل يسوع، لن يُعرف عنهم أنهم متعجرفون أو متسلطون. بدلاً من ذلك، سيُتصّفون بالاتضاع المتشبه بيسوع الذي يمنحهم سلطةً أدبيّةً تُدعِنُ لها الكنيسة طواعيةً. يجب على الشيوخ أن يفقدوا من خلال تقديم النموذج، ويكونوا قدوةً، هذا إن أرادوا أن يفقدوا بأية حال من الأحوال.

أخيراً، ناقشنا قضية تعددية الشيوخ في الفصل السادس. يضع الأساقفة مثلاً ليس فقط كأفراد، بل كفريقٍ. فُكر في جماعة الشيوخ في كنيستك باعتبارهم الكنيسة في صورة مصغرة. يجب على الرعاة أن يكونوا تجسيدا حياً في طريقتهم في التفاعل، وحل المشكلات، والسعي إلى الوحدة، ومواجهة التحديات معاً حتى إنه ينبغي للكنيسة كلها أن تتمثّل به. يجب أن يكون فريق الشيوخ قادراً على أن يقول بطريقةٍ جماعيةٍ: "تمثّلوا بنا كما نحن بالمسيح معاً".

ذات مرة علّمت صفّاً دراسياً في كنيستنا عن موضوع وظيفة الشيخ من المنظور الكتابي. وكان ضمن محتوى المادة أن نذهب في "رحلة

كن قدوةً في النُضجِ

ميدانية“ لحضور أحد اجتماعات الشيوخ. بعد ذلك جلس الدارسون في الصف ليُطلعوا بعضهم بعضاً على ما اختبروه في ذلك الاجتماع. فتكلموا عن المحبة، والاتضاع، واللطف الذي شهدهوه في طريقة تعبير الشيوخ لبعضهم البعض، علاوةً على الاهتمام الصادق الذي أظهره الشيوخ عندما صلّوا من أجل أعضاء الكنيسة. توقّع بعضُ الدارسين شيئاً مختلفاً من الشيوخ في ذلك الاجتماع، شيئاً أكثر قوةً، وجماعيةً، وإثارةً للرغبة. وبدلاً من ذلك، وجدوا في طريقة تفاعل الشيوخ شيئاً يُشبه يسوع. لقد كانت ليلةً سعيدةً للأساقفة في كنيستنا.

هل رأيت كيف أن الدم اللازم لحياة التقوى يجب أن يتدفق من خلال كل مهمة يؤديها الشيخ؟ لكن إن تساهل الشيخ في نزاهته وقبَل بحلول وسط من خلال عصيانه للرب، ستموت خدمته. إن سلوك الشيخ مع يسوع يُعتَبَر هو الخيط الذي يُمرّر في كل حبات اللؤلؤ التي تمثّل مهام وظيفته. اقطع هذا الخيط فتسقط حبات اللؤلؤ وتتبعثر في كل مكان. قد يكون الشيخ موهوباً، وصاحب خبرةٍ، وله شخصيةٌ جذّابةٌ، ولكن ما لم يكن يعكس يسوع جيداً، فإن عدم نضجه سينزع البساط من تحت مواهبه حتماً. تمنح **كينونة** الشيخ مصداقيةً وقوةً **لأفعاله**. وهذا يفسر سبب وضع الكتاب المقدس تلك القوائم الواسعة لمؤهلات الشيوخ، كما رأينا في الفصل الأول، وسبب تركيز تلك المؤهلات في المقام الأول على الشخصية النموذجية التي تستحق أن يُحتذى بها. يجب أن يكون الشيخ «بلا لوم» (١ تيموثاوس ٣: ٢). فخدمته برمتها متوقّفة على ذلك.

لاحظ حياتك

بناءً على الأهمية الحيوية لأن يكون الشيوخ مثلاً يُحتذى به في حياتهم وأفعالهم، لا يمكننا أن نختم هذا الفصل دون أن نضيف واجباً حيويًا آخر لوظيفة الشيخ: يجب على كل شيخ أن يسعى باستمرار نحو القداسة، والمحبة، والنضج الروحي. يحتاج الشيوخ إلى أن يُشبهوا يسوع أكثر فأكثر لكي يقودوا مثل يسوع.

قال بولس هذا لتيموثاوس: «لَا حَظَّ نَفْسِكَ وَالتَّعْلِيمَ وَدَاوِمَ عَلَى ذَلِكَ، لِأَنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ هَذَا، تُخَلِّصُ نَفْسَكَ وَالَّذِينَ يَسْمَعُونَكَ أَيْضًا» (تيموثاوس ٤: ١٦). إن هذا لتصريحٍ مدهشٍ ومسؤوليةٍ مذهلة. كان بولس يقول إن الراعي يؤدي دوراً مُعيناً من الله في خلاص نفسه وأنفس آخرين بالانتباه إلى حياته وإلى التعليم.

قد يكون الجزء التعليمي صادمًا لنا بدرجة أقل. ينال الناس الخلاصَ بسماعهم الإنجيل الذي يُعلم من الكتاب المقدس. وبالتالي، إذا حافظ قائدُ الكنيسة على تعليمه من الأخطاء، سيكون التعليم حينئذٍ قناةً لنعمة الله المخلصة.

لكن ماذا عن حياة الراعي؟ إن الراعي، بانتباهه لحياته وبكونه «قدوةً للمؤمنين في الكلام، وفي السلوك، وفي المحبة، وفي الطهارة» (ع ١٢)، يؤدي دوراً ما في خلاصه وخلاص الذين في كنيسته. يستخدم روحُ الله بطريقةٍ ما حياة الأسقف المُعتنى بها جيداً في إحداث

كن قدوةً في النُضجِ

الخلاص لآخرين في الكنيسة. لذلك فإن القدوة والافتداء ليسا مسألةً اختياريةً. إنهما عنصران جوهريان لكيفية إحداث تقدّمٍ روحيٍّ معاً في الكنيسة المحلية.

إذن، يا أخي الشيخ، فوق كل شيء انتبه لحياتك. إذا أردت أن تقول مع بولس: «كُونُوا مُتَمَثِّلِينَ بِي كَمَا أَنَا أَيْضًا بِالْمَسِيحِ» (١ كورنثوس ١١: ١)، إذن يجب عليك أولاً أن تضمَّ صوتك له في قوله: «بَلْ أَقْمَعُ جَسَدِي وَأُسْتَعِيدُهُ، حَتَّى بَعْدَ مَا كَرَزْتُ لِلْآخِرِينَ لَا أَصِيرُ أَنَا نَفْسِي مَرْفُوضًا» (١ كورنثوس ٩: ٢٧).

اعرف نفسك وميولك التي تجعلك غير مؤهل، وكن واعياً للنقاط الأكثر عرضة للهجوم في أسوار قلبك، حيث تختار التجارب أن تشن هجماتها. استمر في مقاومة الخطية واقتلها بقوة الروح القدس أينما وجدتتها (رومية ٨: ١٣). وكن متناغماً مع الروح القدس (غلاطية ٥: ١٦) لكي تذبل أعمال الجسد وتحصد ثمار الروح (الأعداد ١٩-٢٣). دع كلمة الله تُجدِّد ذهنك حتى تقدر أن تلبس الإنسان الجديد باستمرار (أفسس ٤: ٢٢-٢٤). وقدّم جسدك كل يوم ذبيحةً حيَّةً (رومية ١٢: ١، ٢).

إحراز تقدّمٍ يعتمدُ على الإنجيل

لا تفترض أنك قد وصلت أخيراً لأنك شيخٌ، الحقيقة هي العكس تماماً: إن قيامك بوظيفة الأسقف ينبغي أن يبتّ في داخلك إحساساً

بحاجتك الملحة إلى إحراز تقدّم في اقتدائك بيسوع.

لا تحتاج جماعة المؤمنين في كنيستك أن ترى شيخاً تقياً فقط، بل شيخاً ينمو باستمرار أيضاً. أوصى بولس تيموثاوس بأن لا ينتبه إلى حياته فحسب، بل أن يحدث تحسينات شخصية أمام الناس أيضاً: «اهتمّ بهذا. كن فيه، لكي يكون تقدّمك ظاهراً في كل شيء» (١ تيموثاوس ٤: ١٥). أليس هذا مثيراً للاهتمام؟ إن جماعة المؤمنين في كنيستك بحاجة إلى أن ترى تقدماً، لا كمّالاً. وبما أن يسوع هو الذي له الكمال، فالكنيسة تحتاج إلى أن تتمثّل ليس فقط بدرجة نموّ في المسيح، بل أيضاً، وبالقدر نفسه من الأهمية، بحقيقة أنك لا تزال تنمو.

بعبارة أخرى، تحتاج الكنيسة إلى رؤية الإنجيل وهو يغيّر حياتك باستمرار. ويحتاج الخراف إلى أن يعرفوا أنك أنت أيضاً تتوب عن خطاياك بانتظام. إنهم بحاجة إلى أن يسمعونك تصرخ في الصلاة طالباً قوة قيامة يسوع في نفسك. إنهم بحاجة إلى أن يعرفوا أنك تقرأ الكتاب المقدس وتصلّي كل يوم، لا لأنك الملقّب بالقديس الخارق، بل لأنك تعلمت أنه من دون التزوّد بالמןّ اليوميّ، لن تكون لديك قوة على مقاومة التجربة، ولا على خدمة الرب.

من خلال تقديم مثالٍ على تقدّمك المعتمد على الإنجيل، أنت تُوجّه أعضاء الكنيسة إلى شخص آخر غيرك، وتقودهم إلى أن يرفعوا نظرهم عالياً إلى يسوع الذي نتغير إلى صورته.

تضرّع إلى الله من أجل الرعاية

استكشفنا خلال الفصول السبعة السابقة الوصف الوظيفي لمنصب الشيخ. وفي محاولة لتلخيص هذا الوصف الوظيفي، قلنا إنه يتعلق برعاية أعضاء الكنيسة وقيادتهم إلى المزيد من النضج من خلال التشبّه بالمسيح. مع ذلك، يمكننا قول أيضًا إن الشيوخ مدعون لرعاية الكنائس المحلية مثل يسوع.

تتبع الجهود التي يبذلها الشيخُ العديدَ من النماذج لخدمة يسوع لتلاميذه. علّم يسوع كلمة الله؛ وواصل الشيوخ تعليم الكلمة نفسها. جاء يسوع من السماء ليبحث عن الخطاة ويخلصهم؛ وكذلك الشيوخ، على نحو مماثل، يقتفون أثر الضالين، ويتطلب ذلك أحيانًا تضحيات شخصية من جانبهم. جسّد يسوعُ على نحوٍ كامل صورة الله؛ وعلى المنوال نفسه، يسعى الشيوخُ إلى الاقتداء بيسوع بطريقة تجعلهم قدوة لأعضاء الكنيسة. يرفع الشيوخُ الكنائسَ مثل يسوع من خلال التعليم، والقيادة، والسعي لرد الضالين، والخدمة، والقُدوة مثلما كان يفعل يسوع.

لكن يجب ألا يغيب عنا شيءٌ مهمٌ. يجب على الشيوخ أيضاً أن يقتدوا "بالنصف" الآخر من خدمة يسوع. إن الرعاية مثل يسوع تعني الصلاة مثل يسوع:

«فَذَاعَ الْخَبْرُ عَنْهُ أَكْثَرَ. فَاجْتَمَعَ جُمُوعٌ كَثِيرَةٌ لِكَيْ يَسْمَعُوا وَيُشْفَوْا بِهِ مِنْ أَمْرَاضِهِمْ. وَأَمَّا هُوَ فَكَانَ يَعْتَزِلُ فِي الْبَرَارِيِّ وَيُصَلِّي» (لوقا ٥ : ١٥ ، ١٦).

تُقدِّمُ هذه الآيات موجزاً لخدمة يسوع حتى وقت آلامه. ونحن على دراية بالنصف الأول من ملخص خدمته، أي خدمته العلنية، نظراً لأن الأناجيل قد أسهبت في شرحها؛ حيث نرى يسوع مراراً وتكراراً يُعلم، ويُجري معجزات، ويخدم وسط الشعب.

لكن ماذا عن النصف الآخر من ملخص خدمته، ذلك الجزء الذي يصف كيف كان يسوع يعتزل "كثيراً" ليصلي؟ لا نعرف الكثير عن ذلك الجانب، ويرجع السبب في الأساس إلى أن كتبة الإنجيل لم يتطرقوا إلى الكثير من التفاصيل حول حياة الصلاة الخاصة بيسوع. ولكن إذا انتبهنا يمكننا أن نفهم بعض اللحظات المتكررة عن هذا البُعد الذي لا يأخذ ما يستحق من التأكيد مع أنه جزء لا يتجزأ من خدمة يسوع. دعونا نواصل القراءة في كتابات لوقا:

تضرّع إلى الله من أجل الرعية

- صلى يسوع وقت معموديته، في تلك اللحظة انفتحت السماء، ونزل الروح القدس عليه، وتكلّم الآب (٣: ٢١، ٢٢).
- بدأ يسوع يوم خدمة حافلاً في كفرناحوم بالذهاب إلى مكان منعزل، على ما يفترض لكي يصلي (٤: ٤٢؛ قارن ٥: ١٦).
- قضى يسوع الليلة بأكملها في الخارج يصلي قبل أن يختار الرسل الاثني عشر (٦: ١٢).
- صلى يسوع منفرداً مع تلاميذه (٩: ١٨)، وكذلك أخذ بطرس، ويعقوب، ويوحنا على الجبل ليصلي، وهناك رأوا تجليّه (٩: ٢٨).
- حفّز نموذج يسوع في التشفّع التلاميذ لكي يُعلّمهم أن يصلوا (١١: ١)، فعلمهم الصلاة الربانية.
- قال يسوع مثلاً الأرملة المثابرة لكي يلهمهم "أن يصلوا دائماً ولا يصيبهم الإحباط" (١٨: ١).
- قبل ساعاتٍ قليلة من صلب يسوع، تصدّى للتجربة في جنسيمانني من خلال التضرّع إلى الآب (٢٢: ٣٩-٤٤).
- في تنمّة لوقا، أي في سفر أعمال الرسل، كان الرسل «يواظبون بنفُسٍ واحدةٍ على الصلّاة والطلبّة» بعد انطلاق يسوع إلى السماء (١: ١٤).

- بينما كانت الكنيسة تولد وتزداد حجمًا، اكتشف الرسل أن الاهتمام بالاحتياجات العملية لشعب الكنيسة قد أخذ كثيرًا من وقت الصلاة. فقدموا اقتراحًا بتعيين سبعة رجال للاهتمام بالاحتياجات الإدارية المتزايدة للكنيسة (٦: ١-٣). ماذا سيفعل الرسل بالوقت والطاقة اللذين استعادوهما؟ قالوا: «وَأَمَّا نَحْنُ فنُوْظِرُ عَلَى الصَّلَاةِ وَخِدْمَةِ الْكَلِمَةِ» (ع. ٤).

استمر الرسل في اتباع نمط يسوع، أي الخدمة ذات الفرعين: الوعظ والصلاة.

هل يبدو لك غريبًا أن الرسل، وحتى الرب يسوع، قد كرّسوا الكثير جدًا من طاقتهم للصلاة بكل إرادتهم؟ هل الحديث مع الآب السماوي يُعْتَبَر علامةً مميّزةً في حياتك وخدمتك بالطريقة نفسها مثلما كانت تتميز حياة وخدمة يسوع ورسله؟

العيش على الصلاة

لا تحتاج ممارستنا للصلاة إلى أن تكون مدفوعةً للأمام بنمط شركة يسوع الشخصية مع الآب السماوي فحسب، بل يجب أيضًا أن تكون مدفوعةً للأمام بطبيعة الرعاية نفسها الكثيرة المطالب؛ فالخدمة الرعوية يمكن أن تأتي بك راكعًا، بطريقةٍ أو بأخرى.

تضرّع إلى الله من أجل الرعية

أرجو أن تشعر عند هذه النقطة برهبةٍ صحيّةٍ أمام فكرة الإشراف على جماعة المؤمنين. قد يكون العمل مُرهقاً؛ فالتعليم العام لشعب الكنيسة، والتعليم الخاص للأفراد، والمواجهة، والسعي في طلب الضالّين والبعيدين، وقيادة الناس، كل ذلك يتطلب الكثير من الوقت، ويمكن أن يكون منهكاً للنفس. ومهما كان قدر الرعاية الذي يقدمه المرء، يمكن دائماً عمل المزيد. يمكن دائماً أن يجري الشيخُ مكالمةً هاتفيةً أخرى، أو يتلمذ شخصاً، أو يدعو شخصاً آخر على العشاء. كيف يُعرّف الراعي كلمة مُنجز؟

لا عَجَبَ في أن الشيوخ يتراجعون بسهولة إلى نموذج أعضاء مجلس الأمناء. من الأسهل بكثير أن يجلس الشيخ إلى طاولةٍ لسُويّعاتٍ قليلة، ويناقش بضعة سياساتٍ، ويطلب التصويت من الأعضاء على بضعة قراراتٍ، ويَعْتَبِرَ العملَ قدَّ "أنجزَ" عند تأجيل الاجتماع أو فض الجلسة. ولكن حين تميل إلى الخدمة الرعوية للبشر، سواء كنت خادماً متخصصاً تتقاضى أجراً، أو ناظراً (شيخاً) علمانياً، ستتواجه مع محدودية وقتك، وطاقتك، ومعرفتك، وموهبتك. وما يُرجى هو أن تدفعك تلك المواجهة إلى الصراخ من أجل طلب معونة الله. وبالنسبة للشيوخ، لا تُعْتَبَرُ الصلاة مجرد واجب، بل استراتيجية حيوية للبقاء.

غير أن اتساع العمل، ليس هو فقط الذي ينبغي أن يدفع الشيوخ بقوة نحو الصلاة، بل هدف العمل أيضاً. وكما رأينا في الفصل الثاني،

يهدف الشيوخُ إلى إنضاج أعضاء الكنيسة في المسيح، ومع ذلك، ليست لديهم القدرة أن يجعلوا أيَّ واحدٍ آخر يتقدّم روحياً. يمكن للأساقفة (النُظَّار) تعليم الكتاب المقدس، ولكنهم لا يقدرّون أن يجعلوا الناس يطيعونه من القلب. بإمكان الشيخ أن يحثّ الأعضاء المتخاصمين على التصالح، لكن ليس بإمكانه أن يجعل أيّاً منهم يغفر للآخر. أعطى الله الشيوخ هدفاً لا يستطيع إلا الله نفسه أن يحققه. وهذا حسبما ذكر بولس أعضاء كنيسة كورنثوس الذين يعبدون الراعي: «أَنَا غَرَسْتُ وَأَبْلُوسُ سَقَى، لَكِنَّ اللَّهَ كَانَ يُنْمِي. إِذَا لَيْسَ الْغَارِسُ شَيْئاً وَلَا السَّاقِي، بَلِ اللَّهُ الَّذِي يُنْمِي» (١كورنثوس ٣: ٦، ٧).

ينبغي أن يدفعنا عَجْزُنا الروحي إلى الصراخ لله طلباً للقوة وليأتي بالنمو في حياة المؤمنين في كنائسنا. وعلى غرار إيليا، يمكننا أن نرمّم المذبح ونُعِدَّ الذبيحة، غير أن الله هو الذي يجب أن يُرسل نار الروح القدس داخل قلوب البشر وحياتهم (انظر ١ملوك ١٨: ٣٠-٣٩).

إذا لم تكن المطالب الكثيرة لوظيفة الشيخ، مع استحالة وفائه بمعايير النجاح فيها بطاقته البشرية كافية لدفعه دفْعاً إلى ترجي السماء وطلب المعونة، فإن نظرةً واحدةً سريعةً إلى المرأة ستجعله يفعل ذلك. أي شيخ لديه قدرٌ قليلٌ من الوعي الذاتي يعرف أن ميله إلى الخطية يمكن أن يُحْبِطَ خدمته. إذ يفتح الكتاب المقدس فيرى انعكاساً لقلبه في خداع إبراهيم، وشهوة داود، ويأس إيليا، وكبرياء حزقيال، وإنكار

تضرّع إلى الله من أجل الرعية

بطرس. وإذا لم يكن ذلك كافياً، يقرأ أن أحد الأسود يطوف خلصةً متعطّشاً لدماء الخروف فريسته (١بطرس ٥ : ٨). وعندما يدركُ الشيخ أنه ظمآنٌ، ومجروحٌ، وتائهٌ، وهو نفسه فريسة، سيرفع صوته متضرّعاً لمساعدة من الراعي الصالح.

نعم، يجذبنا مثالُ يسوع، نحن الشيوخ، إلى الصلاة. لكن مطالب الخدمة الرعوية ومواطن الخلل والعجز فينا يجب أيضاً أن تدفعنا إلى أن نطلب من يسوع أن يفعل المستحيل. لا نحتاج نحن الأساقفة أن نصلي فقط لكي نرعى مثل يسوع، بل لأننا نحتاج إلى يسوع أن يقوم بعمل الرعاية من خلالنا ولنا. إن خدمة الشيخ تعيش على الصلاة.

ممارسة الصلاة

ما شكل خدمة الشيخ المشبّعة بالصلاة؟ كيف يرفع الشيوخ الذين ألهمهم يسوع ووصلوا إلى مرحلة من الاحتياج الشديد من فرط مسؤولياتهم مستوى الصوت للصلاة؟

حاول ألا تفكّر في الصلاة كنشاطٍ إضافيٍّ أُقِمَ وسط جدول أعمالك المشحون بالفعل. وعضّاً عن ذلك، فكّر فيها كنظام التشغيل الذي يدير التطبيقات والبرمجيات الأخرى. كما قال بولس: «صَلُّوا بِلَا انْقِطَاعٍ» (١تسالونيكي ٥ : ١٧). تكون الصلاة في أحسن حالاتها حين تكون تدفقاً لفظياً لحالةٍ ثابتةٍ ومستمرّةٍ من الاتكال على الله. تماماً مثل

الشخصية، ينبغي أن تتدفق عبر كل ما يعمله الشيخ. يجب أن تكون نوعاً من التنفس الروحي الذي يجلب حياة الروح لحياتنا وأعمالنا. فيما يلي أربع طرق لدمج التشفع داخل نسيج خدمتك كشيخ.

الصلاة العامة

حاول أن تستغل أية لحظة من لحظات القيادة العامة كمُبرِّرٍ للصلاة. كن شخصاً ينتهز كل فرصة للصلاة. وسواء كنت تقود مراسم فريضة العشاء الرباني، أو تعلم فصلاً من فصول مدارس الأحد، أو كنت متكلماً في مؤتمرٍ تدريبيٍّ، أو تديرُ أحد اجتماعات الكنيسة، استغل سلطتك في تلك اللحظة لتصلي بالنيابة عن الجماعة المجتمعة معك. وحينما تكون مع أعضاء آخرين من الكنيسة في مناسبةٍ لحل مشكلةٍ ما، كن أنت الشخص الذي يقول: "لعلنا يجب أن نتوقف قليلاً لنطلب من الله أن يساعدنا". وإن سألت أيّ تجمعٍ لأعضاء من كنيستك إن كان يمكنك أن تصلي، لا أحد سيعترض البتة.

فضلاً عن قيمة الصلاة نفسها، فإن بث التشفع داخل التجمعات العامة يمنحك أيضاً فرصة لتعلم الناس كيف يصلُّون من خلال تقديمك لنموذج يُحتذى به. إذن، حين تصلي بالنيابة عن أعضاء مُجمَّعين، حاول أن تبرهن أن صلاتك متوازنةٌ وصادرةٌ من القلب. واحرص أن تصلي ليس فقط لاحتياجات الأفراد في جماعة المؤمنين، بل أيضاً

تضرّع إلى الله من أجل الرعية

من أجل كنائس أخرى ومن أجل تأسيس كنائس جديدة في منطقتك. لا تصل فقط من أجل الانتخابات القادمة في بلدك، بل ارفع في صلاتك عمل الإنجيل في كل العالم. صل من أجل الخبز اليومي، ولا تنس أن تتضرّع من أجل أن يأتي ملكوت الله ولتكن مشيئته، وحاول أن تبدأ صلواتك بالطريقة التي تبدأ بها معظم الصلوات في الكتاب المقدس؛ أي، بأن تُعظم صفات الله وأعماله: «لِيَقْدَسَ اسْمُكَ» (متى ٦: ٩). وبنعمة الله سيقنّدي الناس بصلواتك مثلما تقنّدي أنت بالنماذج الكتابية.

عندما تصلي أمام جمهور، فأنت لا تقدّم نموذجًا عن كيف ينبغي أن يُصلى فقط، بل تقدّم أيضًا مثالًا لموقف المتكلّ على الله. إذا قال القائد الروحي: "نحن بحاجة إلى معونة الله"، فإنه يرسل رسالة قوية لمن يتبعونه. إن الصلاة العامة المتكّلة على الله طريقة أخرى لقيادة الناس دون التسلّط عليهم.

خلال فترة دراستي بكلية اللاهوت، درّس لي أستاذ اسمه ميريدث كلاين (Meredith Kline). ووقتما كُنْتُ أدرُسُ بصفّه، كان هو على وشك التقاعد. ظل الدكتور كلاين موضع إعجاب تلاميذه لعلمه الغزير في مجال اللاهوت الكتابي؛ فقد كان شغوفًا بفهم وشرح كيف أن قصة الكتاب المقدس بكاملها متوافقة في كل أجزائها. ولكن لم يكن نطاق العمل اللاهوتي الشامل الذي يتميز به هو فقط ما ساعدني على قراءة كتابي المقدس كوحدة واحدة، فما أثر فيّ هو صلاة الدكتور كلاين.

كان يبدأ كل محاضرة بالصلاة، وكان يتميز بصوت مبوح، خشن، وهادئ نوعاً ما، لا يناسب مهمة التشفع أمام جمهور، وقد كان يصلي صلوات **طويلة**. عادةً ما كان دكتور كلاين يصلي لعشر دقائق أو أكثر. ورغم ذلك، فإن حديثه مع الله كان ملفتاً للانتباه. وفي أثناء صلاته، كان يبدو كما لو أنه يحول معرفته الكتابية واللاهوتية الواسعة إلى عبادة وتضرع لله. فقد رأيت صرحاً فكرياً يتضع أمام عظمة الله، ويتلذذ بأبعاد عمل يسوع المخلص. أثار هذا الرجل العجوز قصير القامة في قلبي، في الصف وبعد الصف، رغبةً في معرفة الله والحديث معه كما كان يفعل. فقد استخدم وقوفه خلف منبره العام كفرصة للصلاة العامة محدثاً تأثيراً عميقاً في حياة تلاميذه.

قليلون هم الشيوخ أو الرعاة الذين يتمتعون بعمق المعرفة والاطلاع الذي للدكتور كلاين؛ لكن كل أساقفة (نظار) الكنيسة لديهم مواقعهم العامة التي يمكن انتهاء الفرصة لاستغلالها من أجل صلاة كتابية صادرة من القلب. ولا يُشترط بالضرورة في من يفعل ذلك أن يكون حاصلاً على درجة الدكتوراه.

صلاة الشيخ

اجعل الصلاة جزءاً لا يتجزأ من «اجتماع الشيوخ» الذي تحضره. حان الوقت لتتقدم خطوة أبعد من مجرد أن تطلب من أحدهم أن «يفتح» و «يختم» الاجتماع بالصلاة. خصّ وقتاً للتشفع الممتد

كلما اجتمعتم معاً. وفي الواقع، اجعل هذا الوقت بنداً أول على جدول الأعمال.

كذلك لا تخشَ أن تُفحِمَ صلواتٍ اُرْتِجَالِيَّةٍ بين فقرةٍ وأخرى من فقرات الاجتماع. أقدّر الطريقة التي كان بوب يفعل بها ذلك في اجتماعنا الخاص بالشيخوخ؛ إذ أحياناً يتوجب علينا أن نناقش قضايا صعبة، كموقف فاجع يتعلق بأحد أعضاء الكنيسة أو قرار صعب لا بد من اتخاذه دون وجود خيارات ممكنة واضحة. كثيراً ما يرفع بوب يده ويقول: "هل يمكننا أن نتوقف للحظة لنصلي من أجل هذا الأمر؟" يُعتبر اتخاذ قرارات صعبة واحداً من تطبيقات الشيخ التي تكلمتُ عنها سابقاً، لكن صلاة الاتكال على الرب تعتبر هي نظام التشغيل.

واحدة من الطرق البسيطة لإحداث تغيير في اجتماعات الشيخوخ، وفي إخوانك الشيخوخ، أن تُصلُّوا معاً بانتظام عبر قائمة أعضاء الكنيسة بكاملها. عندما تفعل ذلك، لن يقتصر الأمر على أن يأخذ أعضاء الكنيسة البركات المتأصلة الناتجة عن صلاة شخص من أجلهم، بل ستركز أنت والشيخوخ الآخرون مجدداً على أعضاء الكنيسة بدلاً من التركيز على الآليات والوسائل والأنظمة التي تُدار بها الكنيسة. وقد يجد الشيخوخ التشفع من أجل الأعضاء عملاً أكثر إرضاءً من أن يتجادلوا حول حجم المبلغ الواجب إنفاقه على نظام التدفئة الجديد أو حول إمكانية السماح لأحد نوادي المدينة بأن يستخدم منشآت الكنيسة لتنظيم احتفال أو حدثٍ ما.

هكذا حاول الشيوخ في كنيسة أن يضعوا كل هذا معاً. وما عرضه الآن هو طريقة محتملة لوضع هيكل تنظيمي للصلاة في اجتماعات الشيوخ، لكنها بالتأكيد ليست الطريقة الوحيدة ولا حتى أفضل الطرق. يجتمع شيوخ كنيسة رسمياً مرتين شهرياً. ونعقد اجتماع "صلاة" في الثلاثاء الأول من الشهر، واجتماع "عمل" في الثلاثاء الثالث. ونسعى أن نصلي في اجتماعات العمل، أيضاً، لكن ليس على نحو موسّع كما في اجتماع الصلاة.

نتحدث في اجتماع الصلاة عن الاحتياجات المعروفة في الكنيسة، بما في ذلك احتياجاتنا نحن الشخصية كشيوخ، ثم نصرف بقية الوقت نصلي من أجل هذه الطلبات ونصلي عبر قائمة طويلة لأعضاء الكنيسة. ولعل اجتماع الصلاة الخاص بالشيوخ هو واحد من أنشطة الكنيسة المفضلة لدينا.

فكرة أخيرة: فكر في أن تدعو إخوتك الشيوخ لمناسبات خاصة للصلاة، وحتى للصوم. عندما واجه شيوخنا أوقات صعبة في حياة كنيسة، كنا نخصّص من حين لآخر أسبوعاً للصوم والصلاة. وكنا نحدد لكل شيخ أياماً معينة للصوم حتى يغطي جميع الشيوخ الأسبوع بكامله. نحتاج إلى عمل المزيد من ذلك.

الصلاة الشخصية

ليس المقصود بالصلاة "الشخصية" أن تصلي بمفردك (سنتكلم عن هذا في النقطة التالية تحت عنوان "الصلاة السريّة" أي الصلاة على انفراد). ولكن المقصود هو الصلاة شخصاً لشخص مع الأعضاء.

أكرر، هذه الصلاة ليست نشاطاً إضافياً على قائمة مهامك، بل ينبغي أن تشكّل جزءاً من عملك الرعوي الاعتيادي. كلما تكلمت مع أحد أعضاء الكنيسة، حاول أن تصلي من أجله (أو من أجلها)، حيثما تقابلت معه، وفي المكان نفسه، وعلى نحو شخصي. خذ أي موضوع تكلمتما بشأنه معاً وارفعه إلى الله، سواء كنت مع شخص تحتسيان القهوة أو تتحدثان بعد العشاء في منزلك. وحتى إن كنت واقفاً في ردهة كنيسة مزدحمة بعد اجتماع يوم الأحد وشاركك أحد الأعضاء بشيء يهمه أو تجربة يمر بها، حاول أن تتوقف وتساءله: "هل يمكنني أن أصلي من أجل هذا الأمر الآن؟" لم أرَ أي شخص من قبل يرفض هذا الطلب.

حاول أن تجد أيضاً طريقة مناسبة لكي يضع مجلس الشيوخ النص الكتابي (يعقوب ٥: ١٤، ١٥) موضع التنفيذ:

«أَمْرِيضْ أَحَدَ بَيْنَكُمْ؟ فَلْيَذْعُ شُبُوحَ الْكَنِيسَةِ فَيَصَلُّوا عَلَيْهِ وَيَذْهَبُوا بِزَيْتِ بِاسْمِ الرَّبِّ، وَصَلَاةِ الْإِيمَانِ تَشْفِي الْمَرِيضَ وَالرَّبُّ يُقِيمُهُ، وَإِنْ كَانَ قَدْ فَعَلَ خَطِيئَةً تُغْفَرُ لَهُ».

تثير هاتان الآيتان الكثيرَ من الأسئلة المهمة، مثل: "هل يجب أن تستخدم زِينًا؟" "ما العلاقة بين المرض والخطية؟" و "ما وجه الارتباط بين صلاة الشيخ من أجل المريض والغفران؟" إن هدي هنا ليس أن أقدم تفسيراً مفصلاً لهاتين الآيتين، بل أن أسأل ببساطة: "هل تُصَلِّي أنت والشيوخ شركاؤك في الخدمة دائماً على المرضى حسبما يقول يعقوب؟"

يمارس شيوخ كنيستنا هذا الأمر، وكثيرون قالوا إنها واحدة من العناصر المهمة في خدمتهم كشيوخ؛ فقد رأينا الله يعمل. وأحياناً منح الله بعض الأعضاء المرضى في الكنيسة مقداراً من الراحة لبعض الوقت. وفي مرات، كان الله يمنحنا شفاءات معجزة من النوع الذي يجعل الطبيب المتخصص في علم الأورام يحك رأسه حيرةً واندهاشاً. وفي مرات أخرى، لست متأكداً ما إذا كان الله قد صنع أي شفاء في الجسد، غير أن الأخ المريض قد أخذ قوةً روحيةً مكنته من المضي قدماً.

بينما أَكْتُبُ هذه الكلمات، يصارع أبي مع مرض السرطان. أبي وأمي عضوان في الكنيسة؛ وقد طلبا الصلاة من الشيوخ الذين حضروا بالفعل وصلوا من أجله. لا نعلم بعد كيف سيستجيب الله تلك الصلاة لأجل الشفاء. لكن سأقول إن رؤية نحو اثني عشر من الرجال الأتقياء في غرفة معيشة والدي يسكبون قلوبهم لله من أجل أبي وأمي لحظة عميقة جداً لأبي ولأمي، ولهؤلاء الرجال.

الصلاة السريّة

أخيراً، من الضروري أن تُخصّص وقتاً للصلاة الشفاعية والتواصل مع الله بينك وبينه. وما أرجوه في هذه المرحلة هو أن تعتبر احتياجك الشديد للصلاة السريّة كشيخٍ أمراً حتمياً بكل وضوح. إن لم تسلك بقرب الرب، ستضل الطريق، وربما تأخذ الرعية معك.

كن عازماً على جعل الصلاة السريّة جزءاً لا يتجزأ من حياتك. خصّص وقتاً كل يوم، في مكانٍ ما، بطريقةٍ أو بأخرى. صلّ في أثناء ذهابك للعمل، أو حين تمشي كلبك، أو حين تذهب لشراء غرضٍ ما. احتفظ معك بقائمةٍ بها أسماء أعضاء الكنيسة، واذكر كل شخص أمام الله في غير أوقات العمل.

قد تكون الصلاة السرية والشركة مع يسوع من خلال كلمته المقدسة ضمن أكثر العادات المُهملة لدى الرعاة. ومع ذلك، ومن المفارقات الساخرة، أن هاتين العادتين بالدليل هما من أكثر الممارسات الحاسمة لحيوية حياتنا الروحية وخدماتنا. ما الذي يمكن أن يحدث لجماعات المؤمنين المحلية في كنائسنا إذا كرّس الرعاة العاملون تحت قيادة يسوع أنفسهم للصلاة بالطريقة نفسها التي يكرّسون بها أنفسهم للميزانيات، والسياسات، ورسائل البريد الإلكتروني؟

انضم لاجتماع الصلاة

بدأنا هذا الفصل بالتأمل في ممارسة يسوع للصلاة. كانت خدمة يسوع العلنية مُشَبَّعةً بالصلاة، التي كانت قاعدة انطلاقها. ينبغي على الشيوخ أن يتطلعوا إلى نموذج يسوع (والرسل) ويشتاقوا إلى التشبه بهم.

غير أنه يظهر جانب آخر لخدمة صلاة يسوع ينبغي أن نضعه في الاعتبار: إن يسوع لا يزال يصلي.

يسوع حيٌّ، وجالسٌ عن يمين الآب، يشفع في شعبه بوصفه رئيس كهنة لنا (رومية ٨: ٣٤؛ عبرانيين ٧: ٢٥). يسوع، المدافع عنا، يتكلم إلى الآب دفاعاً عنا (١ يوحنا ٢: ١). قبل بضع ساعات من ذهاب يسوع إلى الصليب، صُلِّيَ إلى الآب أن يحفظ التلاميذ حتى لا يَهْلَكُوا كما هلكَ يهوذا (يوحنا ١٧: ١١-١٥). وقد صار شعبه محفوظاً باستمرار بنعمة الله إذ يتحدث يسوعُ مع الآب بالنيابة عنا.

لذلك، حين يصلي الشيوخ من أجل كنائسهم، فإنهم لا يتشبهون بيسوع فقط، بل ينضمون إليه ويتوحدون معه. يضم الرعاة العاملون تحت قيادة الرئيس صَوْتَهُمْ إلى صوت رئيس الرعاة نفسه سائلين الآب معاً أن يحرسَ الرعية ويأتي بهم إلى البيت سالمين.

الخاتمة

ثَقُلِ الرِّعَايَةَ الْأَبَدِيَّةُ

يا له من امتيازٍ رائعٍ ومسؤوليةٍ ضخمةٍ أن تخدم كشيخ في كنيسة محلية لأن لها أهمية أبدية! تبدو المهمة شاقّةً، بل وأحياناً مستحيلةً، ومع ذلك، فإنها جديرةٌ بكل ما تبذله فيها؛ لأنك تعتني بأناس ليسوا أقل من كونهم شعب الله المُشْتَرَى بالدم، بل وتعمل لأجل خيرهم ومجد الله الأبدي.

بالتالي، أيها الشيوخ والعديدون أن يكونوا شيوخاً، دعوني أترككم مع فكرتين أخيرتين في ضوء هذا الثقل الأبدي للرعاية. الفكرة الأولى تحذير والفكرة الأخرى وعد.

أولاً، التحذير: ارع جيداً، لأنك ستعطي حساباً. تذكر الكلمات التي درسناها في الرسالة إلى العبرانيين:

«أَطِيعُوا مُرْشِدِيكُمْ وَأَخْضَعُوا، لِأَنَّهُمْ يَسْهَرُونَ لِأَجْلِ نَفُوسِكُمْ كَأَنَّهُمْ سَوْفَ يُعْطَوْنَ حِسَابًا، لِكَيْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ بِفَرَحٍ، لَا أَنِّي، لِأَنَّ هَذَا غَيْرُ نَافِعٍ لَكُمْ» (عبرانيين ١٣: ١٧).

يُحذَرُ هذا النصُّ أعضاءَ الكنيسة في الأساس، لكنه يحوي تحذيراً ضمنياً للنظار أيضاً. يسهر الشيوخ «كَأَنَّهُمْ سَوْفَ يُعْطُونَ حِسَابًا»؛ فالكنيسة ملكٌ ليسوع، وقد اشترى الرعيةَ واقتناها. وليس الشيوخ سوى قائمين على رعاية أولئك الذين أودعوا في أيديهم «كأُنصبة» (١بطرس ٥: ٣). سيقدم الرعاة حساباً للمالك نفسه عن الكيفية التي تعاملوا بها مع رعيته. كما سنقدم حساباً للعريس عن طريقة تعاملنا مع عروسه. هل نُعلمُ حقَّه، هل نُعلمُ حقَّه كاملاً، ولا شيء سوى حقّه؟ هل نحب قطيعه كما يحبهم؟ هل نحن متعسِّفون أم متضعون؟ هل نوجه إخواننا وأخواتنا تجاه يسوع، أم نحن أحجارُ عثرةٍ في طريق محاولتهم اتِّباعه؟

لكن يوجد أيضاً وعدٌ أبديٌّ: ارع جيداً، فإن إكليلاً ينتظرك. بعد أن حرَّض بطرسُ الشيوخ على الرعاية المتَّسعة والنموذجية، قَطَعَ هذا الوعد: «وَمَتَّى ظَهَرَ رَئِيسُ الرُّعَاةِ تَتَّالُونَ إِكْلِيلَ الْمَجْدِ الَّذِي لَا يَبْلَى» (١بطرس ٥: ٤).

الكثير ممَّا نجتهد لأجله، ونقلق حياله، في كل أسبوع هي أمور باطلة. يُذكرنا سفر الجامعة بأن تعبنا وإنجازاتنا باطلة. فنحن نجمع ونبني، فقط كي نتركه لآخرين. إلا أن مكافأة الرعاية المثمرة لا تبلى ولا تفسد قط. ما الشيء الآخر الذي تقوم به كل أسبوع يعدك بإكليل لا يبلى؟

الخاتمة

أيها الإخوة، فيما تفكرون في أن تكونوا شيوخاً، وتحسبون حساب النفقة، تذكروا أن تضعوا في اعتباركم المجد الأبدي المُنْخَر للعبيد الصالحين والأمناء.

«وَكثِيرُونَ مِنَ الرَّاقِدِينَ فِي تُرَابِ الْأَرْضِ يَسْتَيْقِظُونَ، هَؤُلَاءِ إِلَى الْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ، وَهَؤُلَاءِ إِلَى الْعَارِ لِلاَزْدِرَاءِ الْأَبَدِيِّ. وَالْفَاهِمُونَ يَضِيئُونَ كَصَيَاءِ الْجَلَدِ، وَالَّذِينَ رَدُّوا كَثِيرِينَ إِلَى الْبَرِّ كَالْكَوَاكِبِ إِلَى أَبَدِ الدُّهُورِ» (دانيال ١٢ : ٢، ٣).

تسع علامات: سلسلة بناء الكنائس الصحيحة



هذه السلسلة من 9Marks تقدم كتب قصيرة سهلة القراءة عن كل علامة من التسع علامات التي قدمها أولاً القس مارك ديفير في كتابه الأكثر مبيعاً «تسع علامات للكنيسة الصحيحة» بالإضافة إلى كتاب عن العقيدة.

هذه السلسلة نافعة للدراسة الفردية. فإنها كتب مختصرة ستساعدك على استيعاب ما يُعلمه الكتاب المقدس فيما يخص الكنيسة المحلية وكيفية بناء رعية متمتعة بالصحة.

